علي نويجي

حرب الفضائيات

غزو العراق بالصوت والصورة





حرب الفضائيات



◆ ◆ ◆

رئيس المركز

علي عبد الحميد

مدير المركز

محمود عبد الحميد

◆ ◆ ◆

مركز الحضارة العربية

4 ش العلمين – عمارات الأوقاف

ميدان الكيت كات – القاهرة

تليفاكس: 33448368 (00202)

www.alhdara-alarabia.com

E.mail: alhdara_alarabia@yahoo.com

alhdara_alarabia@hotmail.com

علي نويجي

حرب الفضائيات

غزو العراق بالصوت والصورة



الكتاب: حرب الفضائيات

الكاتب: علي نويجي

الناشر: مركز الحضارة العربية

الطبعة الأولى: القاهرة ٢٠١٠

الغلاف

تصميم وجرافيك: ناهد عبد الفتاح

الجمع والصف الإلكتروني:

وحدة الحاسوب بالمركز

تنفيذ: سيد حرزاوي

إيمان محمد

تصحيح: وفاء عبد الفتاح

رقم الإيداع: ١١٨٤١/ ٢٠٠٨

الترقيم الدولي I.S.B.N. 977-291-917-6

نويجي، علي.

حرب الفضائيات: غزو العراق بالصوت والصورة/ تأليف علي نويجي. - ط١. -. الجيزة: مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر والدراسات، ٢٠١٠.

١٢٠ص؛ ٢٤ سم.

تدمك: ٦ - ٩١٧ - ٢٩١ - ٩٧٧

١ - العراق - تاريخ - العصر الحديث - حرب قوات التحالف وسقوط صدام حسين.

أ - العنوان ٩٥٦,٧٠٩

المحتويات

مقدمة

"حرب على الأثير"

إنها بحق لأول حرب تجرى وقائعها على الهواء، وأصبح فيها المشاهد العادى الذى تسمّر أمام أجهزة التلفاز جنرالاً فى غرفة العمليات التى تدير العمليات العسكرية. فهو يطلع على مجريات الحرب لحظة بلحظة، بل واستقى من الأخبار والتحليلات والمقابلات معلومات بدا بها وكأنه مؤهل للإدلاء برأى فى سير العمليات قد يجلب النصر لهذا الطرف أو ذاك.

وتحادث العامة فيما بينهم عن تلك الوقائع كحديثهم عن مباريات كرة القدم وكثر الحديث عن خطط هذا الطرف أو ذاك. فمن شاهد العاصمة العراقية يلفها دخان النفط المحترق أشاد بخطة العراقيين الدفاعية لتضليل الطائرات الأمريكية، وحكى بعضهم عن عنصر آخر وهو استدراج العدو إلى ضواحى المدن والعاصمة بوجه خاص كى تبدأ المباراة المثيرة. وآخرون يتناقلون ما سمعوه من محللى الفضائيات بأن الأمريكيين سيسقطون على أبواب بغداد ولن يحرزوا هدفهم وهى على مرمى حجر إذا نجح العراقيون فى إطالة أمد المعارك حتى أيام الصيف الطويلة الحارة.. راهن البعض على أسلحة للدمار الشامل ستنطلق فى اللحظات الحرجة على العلوج الأمريكيين فيرتدوا على أعقابهم خاسرين..

لكنها كانت أمانى حملتها عواطف العرب الذين غرر بهم المشهد فى بدايته مع صمود البصرة وأم قصر.. وانهارت الدفاعات سريعًا وأحرز الفريق المنافس هدفه ودخل بغداد وسط ذهول العامة المتابعين والمحللين والخبراء المتخصصين الذين روج الكثير منهم لحرب طويلة تستنزف الأمريكيين.

أجواء من الصمت والاكتئاب سادت الشارع العربى وهو غير مصدّق لما يراه على شاشات الفضائيات. فمشهد الدبابتين الأمريكيتين وهما تترددان فى التقدم على جسر الجمهورية فى قلب بغداد الذى نقلته قناة أبو ظبى على الهواء كان الطعنة التى أصابت المشاهدين. ود كثيرون لو قفزوا داخل أجهزة التلفاز لتدمير الدبابتين؛ لكن المشهد

تطور سريعًا بقصف مقري قناتي أبو ظبي والجزيرة وسقوط مراسلين قتلى.

تابع المشاهدون بحرص شديد وزير الإعلام العراقي محمد سعيد الصحّاف الذي كان يؤكد حتى تلك اللحظات أن العلوج الأمريكيين سيقتلون جميعًا. كان الرجل موفقًا في مداعبة أحلام مشاهديه الذين كانوا مصابين بانفصام بين واقع يرغبون معه إزاحة الرئيس العراقي عن السلطة، ولكن بأيدي عراقية وبين حلم يداعب مخيلتهم بانتصار العراقيين على الأمريكيين الذين وفروا كمًا كبيرًا من الكره لهم في الشارع العربي.

وعند سقوط بغداد لم يجد الصحّاف الذي كان رمزًا للقيادة العراقية من مشاعر الجماهير العربية التي تابعته على شاشات الفضائيات لم يجد منها سوى النفور الذي سرعان ما انقلب إلى التندر والفكاهة. فالشارع العربي والمصري بوجه خاص يحاول أن يخرج من المرارة التي يعاني منها باللجوء إلى النكتة والكاريكاتير. وأعدت الفضائيات الغربية المسرح لهذا بإطلاق النكات والكاريكاتيرات والتقارير الساخرة من شخصية الصحاف أو بدقة من الإعلام العراقي الذي وصفوه بالكاذب على طول الخط. وربما أراد الأمريكيون من وراء ذلك التغطية على كذب روجوا له في بداية الحرب واستهداف متعمد لرجال الإعلام ومقارهم.

نقل الإعلام الغربي جانبًا من الصورة وشاهدنا الفضائيات الغربية وهي تصور الطائرات والصواريخ وهي تنطلق من القواعد وحاملات الطائرات. وقدموا لنا صورًا لأهداف تم قصفها بدقة لتجنب وقوع إصابات بين مدنيين ونجحوا في هذا الجانب الذي يبدو كألعاب الفيديو الممتعة التي لا تسكب خلالها الدماء وتستدر العواطف، بل تظهر الأبطال وهم يحاربون الأشرار ويسقطونهم.

ونقل الإعلام العربي وبوجه خاص الفضائيات الجزء الآخر من الصورة الذي تجاهله معظم مصورو الغرب أو حجب رغم إرادتهم؛ وهو ما بعد سقوط القنابل والصواريخ على أهدافها. ضحايا من المدنيين قتلى وجرحى بالآلاف وعراقيون يهينهم الجنود الغزاة. بل ونقلوا عن التليفزيون العراقي الوجه الشاحب الصامت لرامبو الأمريكي لدى وقوعه في الأسر.

غضبت واشنطن لما قيل إنه انحياز إعلامي عربي ضدها ينمي مشاعر العداء وارتفع الجدل حول إظهار وجوه الأسرى. واستنكرت عواصم أوروبية إلا أن وجوه القتلى العراقيين التي ظهرت على شاشات التلفاز هنا وهناك لم تثر أي اهتمام.

نمت الفضائيات العربية التي تدفع أجورًا عالية ما يسمى بالرقيب الذاتي في داخل كل صحفي أو مراسل قبل أن ينطلقوا إلى مكامن الخطر دون إحداث أي ضجة. إلا

أن الجدل أثير لدى الطرف الآخر بعدما جأر المراسلون والصحفيون بالشكوى من القيود التى يفرضها الأمريكيون عليهم وشح المعلومات رغم وجودهم بجانب غرفة العمليات الأمريكية فى قطر. أما العراقيون فى بغداد فقد قربوا هذا وأبعدوا ذاك حسب رؤيتهم لتغطية كل قناة إخبارية. ومنحوا الفرصة لقنوات عربية وحجبوا عن نظيرتها الغربية التى احتكرت إحداها وهى محطة سى. إن. إن. الإخبارية الشهيرة نقل وقائع الحرب السابقة من بغداد ومن على متن حاملات الطائرات والسفن الحربية على الطرف الآخر فقدمت ما رغبت فى تقديمه للعالم وحجبت ما أرادته الإدارة الأمريكية بدون حدوث أى ضجة مثلما شهدت الحرب الأخيرة التى سجلت فيها القنوات الفضائية العربية نقاطًا كثيرة على حساب المحطات الغربية الشهيرة.

يحتاج الإنسان العربى إلى جهد جهيد كى يكبح جماح عاطفته عندما يشرع فى كتابة شيء هو أحوج لأن يكون منصفًا أو على أقل قدر موضوعيًا ويبتعد عن أفعل التفضيل.

وحينما يكتب المرء عن مأساة رصد تفاصيلها ساعة بساعة عبر متابعته للفضائيات كالحرب الأخيرة على العراق أو حرب الخليج الثالثة كما يحلو للبعض أن يصفها؛ بل ومشاركته فى نقلها للمشاهد فإنه إن حاول التجرد من العاطفة فإنه قد يسقط فى بحر تتجاذبه تيارات عدة حينما يحاول أن يكون نزيهًا فى عرضه للمشهد العراقى على شاشات القنوات الفضائية العربية والغربية التى كانت بدون شك صاحبة الدور الأكبر فى إخراج الحرب بصورتها الدرامية كما شاهدناها.

لقد حولت الفضائيات شاشاتها إلى خشبة مسرح تدور عليها فصول الدراما العراقية كملهاة ومأساة وكان الأبطال يقومون بأدوارهم على أكمل وجه، وزير الدفاع الأمريكى دونالد رامسفيلد يعلن أن صدام حسين قد قتل أو أصيب فى قصف جوى، ويخرج صدام صبيحة اليوم التالى كى يلقى خطابه وتنقله شاشات الفضائيات.

يدعى الأمريكيون والبريطانيون فى الأيام الأولى للقتال سقوط البصرة وأم قصر وتروج لها فضائيات يمينية، وبعدها تنقل الفضائيات مشاهد حية من القتال فى أم قصر وحصار البصرة.

يدّعى وزير الإعلام العراقى فى آخر مقابلاته الصحفية كوزير أن الأمريكيين سينتحرون على أبواب بغداد، والفضائيات تنقل صور الجنود الأمريكيين وهم يمرحون فى المجمع الرئاسى فى العاصمة ودباباتهم تتقدم بخجل على جسر الجمهورية وسط بغداد..

يدّعى الرئيس الأمريكى چورچ بوش أن صدام يخفى أسلحة دمار شامل ويصر ويلح فى خطبه التى تنقلها الفضائيات ويمر العام بعد الآخر دون العثور عليها.. ويعلن

فى مشهد احتفالى وهو يرتدى بزة عسكرية وسط جنوده انتهاء العمليات الأساسية العسكرية فى العراق ، تنقل بعدها الفضائيات صورًا يومية للجنود الأمريكيين القتلى وكأن العمليات الأكبر قد بدأت..

ويهتاج رامسفيلد وباول وبوش على الفضائيات فى محاولة لكسب الحرب التى أنهكتهم فى العراق على جبهة أخرى ويتهمون فضائيات عربية بالكذب أو العمالة والتحريض على الإرهاب. وتغلق مكاتب فضائيات بأيدى أعضاء الحكومة التى عينها الأمريكيون فى بغداد..

وبين محاولة وأخرى يخور صوت الفضائيات القوى ثم يرتفع من جديد وتستمر محاولات تدجينها فى الحظيرة الأمريكية وينجحون لحد كبير.

وتستمر المحاولات التى تتراوح بين قصف مكاتب الفضائيات العربية وإطلاق الرصاص وقتل مراسليها ومصوريها وبين ممارسة الضغوط على الجهات الحكومية الممولة لها خلف الستار. ورويدًا رويدًا تستجيب للضغوط وتغير بعضها جلدها أو تدخل فى بيات شتوى طويل وتنجح الضغوط الأمريكية فى النهاية.

وخلاصة الأمر: فإن وسائل الإعلام كانت العنصر الرئيسى فى الحرب الأخيرة وأدرك البنتاغون (وزارة الدفاع الأمريكية) تمامًا أن الرأى العام سيتأثر بالتغطية الإعلامية للحرب وليس بمجريات المعارك فى مسرح العمليات. وعمل منذ البداية على إخراج هذه المعارك على شاشات التلفاز بصورة لا تجعل الرأى العام ينقلب على القوات الأمريكية حتى لو اضطر للتضليل أو التلفيق. فعقدة فيتنام كانت ماثلة فى الأذهان لأن الجيش الأمريكى خسر الحرب عندما خسر الرأى العام. وتكرر المشهد نفسه فى الصومال عندما أجبر الرأى العام الجيش على سحب قواته من هناك بعد أن تمكن الإعلام من كشف أخطاء وتجاوزات وإخفاقات العسكريين الأمريكيين.

وبمرور الوقت غادر تونى بلير رئيس الوزراء البريطانى موقعه مبكرًا تحت ضغوط شعبية. وأمضى الرئيس الأمريكى جورج بوش عاميه الأخيرين فى السلطة كالبطة العرجاء وانزوى نائبه ديك تشينى واستبدل وزير دفاعه دونالد رامسفيلد أمام معارضة شرسة من كونغرس سيطرت عليه المعارضة الديمقراطية وعصفت بالجميع لعنة العراق.

الدعايــــة

"الدعاية للحرب"
Propaganda

أدركت الإدارة الأمريكية ومعها الحكومة البريطانية من جانب والسلطات العراقية من جانب آخر أن الحرب لن تدور فى ميدان واحد فقط.. فهناك ساحة المعركة وساحة أخرى داخل عقول الشعوب يتبغى كسبها من خلال الدعاية، وعلى العكس من الرئيس العراقى صدام حسين الذى كان لا يلقى بيانات أو خطابات سوى فى المناسبات الرسمية؛ فإن نظيره الأمريكى چورج بوش دخل ساحة المعركة الإعلامية مبكرًا جدًا ضد العراق وعمل على تبسيط الأمور أمام العامة، قسم العالم ببساطة إلى دول مع أو ضد الولايات المتحدة فى حربها على الظاهرة التى أطلقت عليها اسم الإرهاب الدولى. وبالطبع لم تجهر أى دولة فى العالم بمعارضتها النهج الأمريكى ووصم نفسها بالإرهاب ووضع نفسها فى خندق واحد مع تنظيم القاعدة المسئول عن تنظيم هجمات الحادى عشر من سبتمبر.

ولتقريب الصورة أكثر لجأ بوش إلى توصيف "الأخيار والأشرار" The good guys and the bad guys ثم صاغ محورًا جديدًا فى حربه العالمية ضد الإرهاب، وكانت "العراق وإيران وكوريا الشمالية" هى الأضلاع الثلاثة للمحور الذى أطلق عليه بوش اسم "محور الشر" Axis of Evil بعد أن انتهى من أشرار طالبان فى أفغانستان.

وكانت الخطوة الثانية فى الحرب على الإرهاب هى محاولة تهيئة الرأى العام للحرب على العراق بعد أفغانستان.

ولحشد الرأى العام الأمريكى وحتى الدولى خلف الإدارة الأمريكية بغية شن الحرب على العراق لجأت واشنطن إلى الحرب الدعائية التقليدية واتبعت عدة عوامل منها: المبالغة Exaggeration فى تصوير ترسانة العراق من أسلحة الدمار الشامل وقدرته على إنتاج أسلحة نووية إذا ما أتيحت له الفرصة. واتبعت حكومة تونى بلير فى بريطانيا نفس المسلك عندما أكد بلير قدرة بغداد على شحذ قواها وشن هجوم بأسلحة كيماوية خلال خمس وأربعين دقيقة. وتبين لاحقًا بعد انتهاء الحرب كذب هذا الادعاء.

ظهر زعم بلير للمرة الأولى فى ملف نشر وقدم إلى البرلمان البريطانى فى سبتمبر عام ٢٠٠٢ وشكل دعامة رئيسية فى الدافع الذى ساقه بلير للانضمام إلى الأمريكيين فى الحرب ضد العراق.

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها شن هانز بليكس كبير مفتشى الأسلحة فى العراق هجومًا على بلير واتهمه بإساءة تفسير تقارير أجهزة الاستخبارات بشأن أسلحة الدمار الشامل العراقية وأنه ارتكب "خطأً فادحًا" عندما قال إن هذه الأسلحة تنطلق خلال خمس وأربعين دقيقة من إعطاء الأمر بالإطلاق.

واعترف بلير لاحقًا بأن تلك المعلومات لم تكن دقيقة. وأفلت ببساطة من أى عقاب أو توبيخ من قبل لجنة بريطانية حققت فى تلك المزاعم.

وأمام رفض المجتمع الدولى لتلك المبررات كذريعة لمهاجمة العراق استنادًا إلى ما خلص إليه مفتشو الأسلحة الدوليون الذين جابوا العراق من أقصاه إلى أقصاه تحت مظلة الأمم المتحدة؛ لجأت الإدارة الأمريكية عشية شن الحرب إلى توريط شخصية تحظى ببعض الاحترام على الساحة الدولية وهى كولين باول وزير الخارجية الأمريكى الذى أعلن أن العراق بصدد إجراء صفقة للحصول على اليورانيوم من النيجر.. لكنه لم يتمكن من إقناع أعضاء مجلس الأمن الذين كانوا مجتمعين لمناقشة التقرير النهائى للجان التفتيش الدولية ونفى المدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية محمد البرادعى (المصرى الجنسية) وهانز بليكس رئيس لجنة المفتشين توصل لجان التفتيش إلى أى شواهد أو أدلة جدية حول وجود أسلحة للدمار الشامل فى العراق. وذهب الأمريكيون والبريطانيون وخلفهم الإسبان والاستراليين إلى الحرب دون قرار دولى وخسروا الحرب الدعائية على المستوى الدولى، بل وخرجت المظاهرات المناوئة للحرب فى معظم المدن الكبرى فى العالم بما فيها الأمريكية..

ولربما كان التكبر والغطرسة الأمريكية وراء خسارة الحرب الدعائية على المسرح الدولى قبل شن الحرب على العراق.. فقد بدت الإدارة الأمريكية راغبة فى أن يتم تناول وتداول ادعاءاتها على أنها حقائق دون تمحيص أو تدقيق.

والدعاية باعتبارها فن الإقناع يتعين أن تكتسب مظهر الصدق بغض النظر عن كون الرسالة الموجهة صادقة من عدمه؛ وهى تقوم على أسس حقيقية وتكتسى بلباس البساطة والتكرار كى تصل إلى ذهن المتلقى بطريقة سريعة وتترسب فى الذاكرة، فرئيس الوزراء البريطانى تونى بلير روّج لادعاء أن بإمكان العراق إعداد أسلحة دمار شامل للاستخدام فى غضون خمس وأربعين دقيقة ولم يغرق فى تفاصيل هذا الادعاء وواظب

على تكراره وبعده الرئيس الأمريكي جورج بوش، وكان من السهل على البريطانيين والأمريكيين استدعاء الصور ذات الدلالة المرتبطة بمخزون الذاكرة المكتسبة.

فصدام حسين استخدم من قبل أسلحة كيماوية ضد الأكراد العراقيين فى حلابجه وضرب إسرائيل بصواريخ باليستية (سكاد). وكان بإمكانه تصنيع أسلحة نووية.

ولم ينتظر بوش وبلير أن يستدعى الجمهور المستهدف الصور ذات الدلالة من مخزون الذاكرة فقد ضربوا الكثير من الأمثلة المؤيدة لادعائهم، وحاولوا إثارة أزمة مفتعلة تقوم على ادعاء "وجود أسلحة دمار شامل بالعراق" يمكن لها أن تهدد الدول الغربية. ووقعت وسائل إعلام غربية فى هذا الشرك أو شاركت فى صنعه فتقارير المفتشين الدوليين تكاد تنطق بالعكس. لكن لم يكن هناك توازن فى استعراض وجهتى النظر. فصدام حسين يقدم دائمًا فى وسائل الإعلام الغربية على أنه ديكتاتور شرير يتعين التخلص منه من أجل جعل العالم أكثر أمنًا.

ونجحت حكومتا واشنطن ولندن فى خلق جو هستيرى محموم لدى شعبى البلدين ولم يتم التوقف كثيرًا عند معقوليته. وتم النفخ فى أهمية الموضوع العراقى بعد نحو اثنى عشر عامًا من تنحيته على الرف.

وربما يكون السبب فى إخفاق تلك الحملة الدعائية على مستوى العالم رغم نجاحها محليًا لحد ما هو العجلة التى جرت على وتيرتها وكشف بعض تلك الأكاذيب فادعاء محاولة العراق شراء يورانيوم من النيجر ردده الأمريكيون والبريطانيون دحضته الوكالة الدولية للطاقة الذرية.

وحاول الأوروبيون وضع مكابح للأمريكيين والبريطانيين عبر الضغط على العراق لتدمير صواريخ (صمود – ٢) التى كان يبلغ مداها ١٥٠ كيلومترًا وهو المدى المسموح به للعراق فى حده الأقصى لكن ذلك لم يفلح.

ولم يفلح الطرفان فى الذهاب إلى الحرب بقرار من مجلس الأمن أو دعم غربى سوى من إيطاليا وإسبانيا وأستراليا.

الدعاية كما يقول فيليب تيلور فى كتابه "قصف العقول": "هى قذائف من الكلمات التى تختار بعناية وتصاغ بحساب دقيق مستهدفة تشكيك شعب دولة العدو وجنوده فى قضيتهم وهدم ثقتهم بقيادتهم وفى حكومتهم وفى قدرتهم على تحقيق النصر".

وبذلك يكون الإعلام الموجه فى الحرب هو إقناع الخصوم بالتخلى عن القتال والاستسلام. وإقناع أبناء الشعب بالقتال أو بتأييده وحشد طاقاتهم خلف المقاتلين.

ونجحت الحملة الدعائية فى الأيام الأولى للحرب على العراق فى شقها النظرى على الأقل. فالأمريكيون والبريطانيون أطلقوا سيلاً من الأخبار الزائفة فى إطار استراتيجية الصدمة والترويع بغية إنهاء الحرب فى أسرع وقت، ومنها سقوط مدن فى الجنوب مثل أم قصر واستسلام آلاف الجنود العراقيين وقتل أو أسر قادة كبار وتفكك أوصال القيادة العراقية وترويج شائعات عن إصابة أو قتل صدام حسين، ورمت بملايين المنشورات على الجنود العراقيين عشية الحرب لحثهم على الاستسلام وخاطبتهم من خلال محطة إذاعية عسكرية. ورصدت مواقع ضباط عراقيين كبار على شبكة المعلومات الدولية الإنترنت، وأرسلت لهم رسائل أليكترونية تحثهم فيها على القيام بانقلاب على صدام حسين أو على الأقل عدم المشاركة فى القتال لحماية أنفسهم وجنودهم من التدمير.

لكن الوقت وتعدد الوسائط الإعلامية خاصة القنوات الفضائية العربية التى ربما لم يحسب حسابها جيداً قبل تلك الحرب أدى إلى إخفاق هذه الحملة الإعلامية فى تحقيق أهدافها. وتم كشف زيف هذه الادعاءات. فظهر صدام حسين على شاشات التلفاز المحلية والفضائية العربية والغربية وظهر قادة ادعت محطات كـ"فوكس نيوز" مصرعهم على شاشات الفضائيات لنفى المزاعم بأنفسهم واضطر البريطانيون والأمريكيون لتكذيب بعض تلك الادعاءات أو التراجع عنها، بل شن العراق مع ضعف إمكاناته حملة إعلامية مضادة وعرض أسرى أمريكيين ومروحيات مدمرة. ولعب على وتر العاطفة فى الشارع العربى بعرضه صوراً لضحايا القصف الأمريكى البريطانى. وبنهاية الأسبوع الأول مع بطء التقدم باتجاه بغداد غذى محللو الفضائيات العربية أمانى الجماهير بإمكانات زائفة قد تؤدى لانتصار عراقى إذا نجح العراقيون فى إطالة أمد الحرب إلى أن يأتى الصيف بقيظه، وربما تحقيق مزاعم وزير الإعلام العراقى محمد سعيد الصحّاف بأنهم سينتحرون على أبواب بغداد بعد طول حديث عن معركة بغداد الحاسمة التى روّج لها الإعلام الغربى والعربى على حد سواء، والتى لم تقع رغم أنف المحللين العسكريين على الطرفين ووسط دهشتهم وصدمة الشارع العربى.

ويبدو أن مخططى الحملة الدعائية فى الولايات المتحدة كانوا يجهلون الكثير عن العراق فشعب دولة العدو لم يكن يملك أطباقاً لاقطة لاستقبال الفضائيات بدرجة كافية وكذلك الجنود على خطوط القتال. كما تم تجاهل أو عدم إدراج الحملة الدعائية المضادة أو وجود وسائل إعلام عراقية خلال الحرب، فقد تمكن التليفزيون الحكومى المحلى والفضائى من تعرية الكثير من الادعاءات وظل صامداً أمام

محاولات القصف التى استهدفت أنظمة وأبراج البث والاتصالات. ولعبت فضائيات عربية دورًا مكملاً لكنه ليس دعائيًا بالضرورة ولكنه كان بغرض الكشف عن حقيقة ما يدور ونقل الحدث من أرض الحدث وعرض الرأى والرأى الآخر بحثًا عن تقديم الصورة كاملة للمشاهد.

لكن الحملة الدعائية الأمريكية حققت نجاحًا كبيرًا فى نهاية الأمر عندما تخلى ضباط كبار عن مواقعهم ويئس آخرون من نجاحهم فى الدفاع عن بغداد. وإذا كانت الحرب قد دارت بضراوة على الجبهة الجنوبية فإن الجبهة الشمالية قد انهارت تمامًا بعد ما أذيع عن دخول القوات الأمريكية بغداد وهرب معظم الضباط تحت جنح الظلام، وفى اليوم التالى اكتشف الجنود ذلك فاستبدلوا زيهم العسكرى بآخر مدنى وفروا من مواقعهم فى مشهد ذليل نقلته شبكة سى. إن. إن. على الهواء وأخذته عنها معظم محطات التلفزة.

وربما يرجع نجاح الحملة الدعائية البريطانية الأمريكية مع شريحة ضباط الجيش العراقى ربما لتمكنهم من مشاهدة الفضائيات ومتابعة ما يدور لحظة بلحظة، وربما أيضًا لسهولة الاتصال بهم من خلال مواقعهم على الإنترنت.

وأيضًا لمعرفتهم بالفارق الكبير بين السلاح الذى يستخدمونه والآخر الذى يستخدمه العدو فضلاً عن حجم الخسائر الهائل فى معركة غير متكافئة.

التكتيكات الدعائية

Propaganda Tactics

أثناء الحرب على العراق استخدم كل طرف تكتيكات دعائية مدروسة وربما يمكن لنا منهجة تلك التكتيكات استناداً إلى معايير أبرزها جون غالتونغ Johann Galtung أستاذ دراسات السلام وأنوب شاه...

١ - الاستعانة بقصص مختارة والتوسع في تغطيتها الإعلامية شريطة أن تتسم بالموضوعية.
1- Using Selective Stories:

ركز الجانب الأمريكي على قصص بطولية لرفع الروح المعنوية لجنوده ومنها قصة الجندية جيسكا لينتش التي أصيبت ووقعت في أسر العراقيين إلى أن قام الأمريكيون بإنقاذها أو بالأحرى العثور عليها بمساعدة عراقيين كما نعرض في موقع آخر.

في هذه القصة تم التركيز على الجانب البطولي للمجندة ومحاولتها حتى اللحظة الأخيرة عدم الوقوع في الأسر على الرغم من إصابتها، وتم الترويج من خلال وسائل الإعلام لمصادر مبهمة لبطولتها وقيامها بقتل مهاجمين عراقيين خلال معركة بطولية.

- التركيز على عملية الإنقاذ على أنها تمت على غرار عمليات رامبو وتم تزويد وسائل الإعلام المرئية بشريط صور ليلاً بكاميرات خاصة لعملية نقل المجندة المصابة.
- التركيز على الجانب اللا أخلاقي لمقاتلي حزب البعث (مقاتلي صدام وليس الجيش العراقي) عندما تم الترويج لأكذوبة اغتصاب الجندية المصابة والمعاملة السيئة التي تلقتها في الأسر.

لقد كانت عملية إنقاذ المجندة جيسكا عملية استعراضية ودعائية لرفع الروح المعنوية للقوات الأمريكية أمام المقاومة الشرسة التي أبداها العراقيون في الأسبوعين الأول والثاني، وبطء تقدم القوات الأمريكية باتجاه بغداد والحديث عن طول خطوط الإمداد والحاجة إلى عدد آخر من القوات وتوجيه انتقادات للخطة العسكرية في وسائل الإعلام.

كانت القصة مادة شهية لوسائل الإعلام التى صارت تلوكها دون تمحيص أو تدقيق، وحتى الفضائيات ووسائل الإعلام العربية تناولت القصة كما هى دون تشكيك أو تدقيق. ولولا شهادة المجندة نفسها وطبيب عراقى لتحولت جيسكا إلى أسطورة أمريكية، فقد نفت أن تكون قد اشتبكت مع عراقيين لأن عطبًا أصاب مسدسها.

بعد سيطرة الأمريكيين على مقاليد الأمور فى العراق تمت معالجة قصة الأسرى الأمريكيين السبعة بطريقة عادية وقد كانت لتختلف كثيرًا فى حالة استمرار الحرب.

قال الجنرال تومى فرانكس قائد القوات الأمريكية فى العراق لقناة فوكس الأمريكية.

"جاء أحد إلى قوات مشاة البحرية التى كانت تتقدم على الطريق من بغداد إلى تكريت وقال هنا أنتم على وشك اللقاء بعدد من الأمريكيين. وأضاف "أن عراقيًا قدم هذه المعلومات السرية وأعتقد أن رجالنا أخذوهم من على الطريق".

القصة هنا عادية بدون أى رتوش دعائية تظهر بطولة للجنود الذين وقعوا فى الأسر أو تمحى عنهم أى تقاعس أدى إلى أسرهم.

ففى يوم الأحد ٢٠٠٣/٤/١٣ تم العثور على الأسرى قرب سمراء شمال بغداد وهم خمسة جنود أسروا فى كمين لقافلة عسكرية وطيارين أسقطت طائرتهما الأباتشى.

قصة عراقية:

- على الجانب الآخر، ركز العراقيون على قصص بطولية وأخرى إنسانية لمستشفيات قصفت ومساكن دُمرت بمن فيها.. بيد أن القصة الأكثر شهرة هى قصة المزارع الذى زعم أنه أسقط إحدى طائرات الأباتشى حسب رواية عراقية رسمية.

اغتنم العراقيون فرصة التقارير التى أوردتها وسائل الإعلام حول الأداء المسىء لمروحيات الأباتشى الأمريكية فى ساحة المعارك بعد أن اشتكى طيارون من أن تعرضهم لنيران الأسلحة الصغيرة يصيب طائراتهم بثقوب ويعرض حياتهم للخطر. وجاءت القصة العراقية واقعية جدًا بعد أن قدم العراقيون شريطًا مصورًا لذلك المزارع وهو يقف فى أحد الحقول رافعًا بيده بندقية عتيقة ويظهر بجانبه طائرة أباتشى رابضة فى أحد الحقول فى وضح النهار. وحكى المزارع قصته.

- اختار العراقيون مدنيًا مسنًا من عامة الشعب كبطل للقصة لتعزيز الروح المعنوية للعراقيين ولشحذ هممهم لمقاومة القوات الغازية.

- السلاح المستخدم كان بندقية عتيقة أسقطت إحدى الطائرات العسكرية الأمريكية فى إشارة أو إيحاء بأن السلاح العتيق الذى بأيدى القوات العراقية يمكن له أن ينتصر على أحدث ما فى الترسانة الأمريكية إذا ما توافرت الإرادة لذلك.
- أيد العراقيون قصتهم بشريط فيديو مصور أذاعته جميع القنوات الفضائية وحتى الأمريكية رغم الشكوك التى أبدتها فى صحة القصة.
- القصة أثبتت أن وزارة الإعلام العراقية وعلى رأسها الوزير محمد سعيد الصحّاف تحاول مجاراة الأمريكيين فى الحرب الإعلامية الدعائية.
- غذت هذه القصة مشاعر الكبرياء لدى الشارع العربى المحبط ونظمت قصائد فى الفلاح العراقى المسن (منقاش).

غير أن التشكيك فى القصة جاء بعد دخول الأمريكيين بغداد وانتهاء العمليات الأساسية، حيث ذكرت صحيفة الرأى العام الكويتية (٢٠٠٣/٤/١٩) أن الفلاح العراقى "على عبيد منقاش" أكد فى مقابلة معها أن الموضوع مختلق من أساسه وأنه خشى من المسئولين العراقيين مشيرًا إلى أنه عندما رأى الأباتشى رابضة فى حقله توجه إلى أقرب نقطة حكومية للإبلاغ وطلب منه المسئولون ذكر هذه الرواية للفضائيات وقالوا له حسب الصحيفة إن هذه قضية إعلامية تخدم الوطن والتقاعس عنها يعتبر خيانة فامتثل. وربما لا يركن المرء تمامًا لوسائل الإعلام الكويتية لانحيازها.

فى كتابه "اكذب علىّ": "الدعاية والتشويه الإعلامى فى حرب العراق" يقول دايفيد ميلر David Miller "يتم زرع القصص الدعائية فى الصحفيين الطبيعيين الذين يخفون مصدرهم عن قارئيهم – ويستند بذلك على قاعدة القصص قابلة للنفى – كأن نقول بما أن المصدر غير معلوم فإنه يمكن للحكومة نفى أى دور لها فى المعلومات. وهذه هى طريقة ممنهجة فى الكذب الذى يتم تعمد إبهام مساره".

وكثيرًا ما تقع وسائل الإعلام وبوجه خاص القنوات الإخبارية التى تبث على مدار الساعة وتحتاج لكم كبير من الأخبار فى حبائل هذه القصص.

وترد الكثير من الأخبار كالتالى:

ذكر مصدر بوزارة الدفاع الامريكية أن... وقال المصدر الذى رفض الكشف عن اسمه إن.... وإذا ما أراد محرر النشرة تحرى الدقة فإنه يضيف على الجملة وقال المصدر الذى رفض الكشف عن اسمه لوكالة... إن على حد قوله وبذلك يستريح ضمير المحرر معتقدًا أنه تحرى الدقة فى خبر كبير مثل الإعلان عن قتل قادة عراقيين كبار ولا يتم

الاستعانة فى معظم الأحوال بالمراسلين الموجودين هنا أو هناك لتحرى صحة الخبر فى البداية ثم دقته قبل إذاعته.

وتداولت وسائل الإعلام العربية والعالمية الكثير من هذه الأخبار فى بداية الحرب حول مقتل قادة عراقيين وسقوط مدن فى الجنوب تبين فيما بعد زيفها..

٢ - الترويج لحقائق غير كاملة: ***Partial Facts***

استنادًا لشعار الصدمة والرعب الذى بدأت تحته الحرب، روج الأمريكيون لأخبار لا تستند إلى حقائق كاملة حول سقوط مدن فى جنوب العراق خلال الأيام الأولى للحرب. فجرى فى وسائل إعلام أمريكية الحديث عن سقوط ميناء ومدينة أم قصر ومدن أخرى كالبصرة لكن الحقيقة التى ظهرت فيما بعد هى أن تلك المدن كانت خاضعة للحصار وكشفت الأيام التالية زيف هذه المعلومات.

روج الأمريكيون منذ البداية لمقتل قيادات عراقية كبيرة وتبدأ القصة بتساؤلات حول قيادة عراقية مثل على الكيماوى قائد القطاع الجنوبى وعدم ظهوره، ثم نشر أخبار غير مؤكدة تروج لمقتله.

ووصل الأمر إلى هرم السلطة الرئيس العراقى صدام حسين حينما تم تهيئة المسرح لذلك ببث أنباء حول عدم ظهوره وأخرى عن قصف الأماكن التى كان يختبئ فيها وكانت قناة فوكس نيوز Fox News فى طليعة تلك المصادر حتى أنها أذاعت نبأ تناقلته عنها وسائل الإعلام بمقتل أربعة قياديين عراقيين دفعة واحدة.

وصل الأمر ذروته بإعلان وزير الدفاع الأمريكى دونالد رامسفيلد نبأ مقتل أو إصابة الرئيس العراقى فى قصف أمريكى. وغداة الإعلان ظهر صدام حسين على شاشات التليفزيون العراقى ليوجه خطابًا إلى العراقيين.

فى ذلك اليوم كنت رئيسًا لتحرير نشرة الأخبار فى قناة أبو ظبى وقت الضحى أثناء التغطية الممتدة وجاء خبر عاجل على وكالات الأنباء يشير إلى أن صدام حسين سيلقى خطابًا تاريخيًا مهمًا للشعب العراقى.

أذعت هذا خبر عاجل كتب على أسفل الشاشة وقمت بتعديل موقع المقطع الصوتى لرامسفيلد "Clip" الذى كان يعلن فيه أن الرئيس العراقى ربما يكون قد قتل أو أصيب فى قصف أمريكى لموقع كان يتحصن فيه ببغداد.. وترافق إعلان رامسفيلد مع الإعلان عن خطاب للرئيس العراقى. وكانت عيناى فى ذلك الوقت على شاشة الفضائية العراقية التى بدأت فى بث الأغانى الوطنية قبيل إذاعة الخطاب الذى نقلناه عن الفضائية العراقية.

على الجانب الآخر؛ حاول العراقيون التأكيد طوال الوقت على أن الأمور ما زالت تحت السيطرة وأن الأمريكيين سينتحرون على أبواب بغداد حتى حينما كانت الدبابات الأمريكية تعبر نهر دجلة بالعاصمة. وظل وزير الإعلام العراقي محمد سعيد الصحّاف يؤكد أن الأمريكيين سيحرقون في دباباتهم عندما واجهه الصحفيون بحقيقة وجود تلك الدبابات في بغداد. واختفى الرجل بعد تصريحه للصحفيين ولم يدل بأي حديث بعد ذلك، وكان في يوم الثلاثاء ٢٠٠٣/٤/٨. لقد اغتنم الصحّاف فرصة وجوده أمام فندق فلسطين بوسط بغداد وباعتباره أحد أركان النظام أكد أن بغداد لن تسقط!!!

٢ - التأكيد على أن الدوافع والأسباب التي يتم على أساسها دخول الحرب هي التهديدات التي يتعرض لها أمن أفراد الشعب..

3- Reinforcing reasons and motivations

لعب البيت الأبيض بنجاح على هذه الفكرة وأظهر الرئيس الأمريكي جورج بوش أن وجود صدام حسين وأسلحة الدمار الشامل المزعومة هي تهديد لأمن الشعب الأمريكي، بل تعدى ذلك إلى التأكيد على أنها تهديد للأمن في العالم أجمع وبصفة خاصة منطقة الشرق الأوسط.

وحاول توني بلير رئيس الوزراء البريطاني اللعب على هذا الوتر للترويج للحرب بين البريطانيين المتشككين في جدواها لكنه لم يحقق النجاح الذي أحرزه بوش بسبب الرأي العام المناهض للحرب الكاره للانقياد الأعمى وراء الأمريكيين.

حاولت الإدارة الأمريكية جاهدة ومعها وسائل إعلام يمينية مثل فوكس نيوز الربط بين صدام حسين وتنظيم القاعدة قبيل قرع أجراس الحرب ووضعت أحداث الحادي عشر من سبتمبر التي قضت على نحو ثلاثة آلاف أمريكي في خلفية ذهن المتلقي للربط بطريق غير مباشر بين صدام والإرهاب والهجمات الإرهابية على الأمريكيين. وفي تأكيدهم على إمكانية استخدام بغداد لأسلحة محظورة كانت ترد دائمًا قصة استخدام أسلحة كيميائية ضد مدنيين أكراد في حلابجة.

- بدوره حاول العراق التأكيد على أن الحرب الوشيكة لن تكون ضد العراق فقط، بل تتعداه في مراحل أخرى إلى دول مجاورة في ظل خطة أمريكية إسرائيلية للهيمنة على المنطقة.. وصورت للعراقيين وسائل الإعلام الحكومية أن الحرب هي للاستحواذ على الثروة النفطية للعراقيين وليس لإسقاط النظام.

٤ - الاستعانة بشريحة صغيرة من الخبراء لتسليط الضوء على مجريات الحرب..

4- Narrow Sources of "experts" to provide insights to the Situation.

استحوذت وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) على مجريات الأمور وكان المؤتمر الصحفى اليومى فى قاعدة السيلية بقطر وآخر من مقر البنتاغون وتوارت وزارة الخارجية خلف المشهد.

ونجح البنتاغون فى فرض عدد محدود من الجنرالات المتقاعدين على وسائل الإعلام المرئية لشرح مجريات العمليات ووقعت قنوات فضائية أمريكية فى هذا الفخ فلا يوجد جانب آخر غير عسكريين سابقين لتفسير مجريات الحرب، وكان أكثرهم بواقع خلفياتهم من المتعاطفين مع القوات الأمريكية، ولم تستعن فى مجمل الأمر بخبراء عسكريين أوروبيين أو روس خاصةً فى الفترة الأولى للحرب عندما كان التقدم الأمريكى البريطانى بطيئًا، وبدا الصوت المعارض لخطط الحرب واهيًا على الرغم من اعتراف القادة العسكريين بوجود ثغرات فى الخطة..

وحاول البنتاغون التعزيز بوسائل الإعلام ودفعها إلى الأخذ بأن ما يرد من مزاعم على لسان القادة العسكريين هو حقائق غير قابلة للدحض أو التفنيد وأن ما يقوله العراقيون مجرد مزاعم.. وجرت قناة فوكس نيوز فى هذا المضمار كثيرًا.

على الجانب الآخر لم يبذل العراقيون مجهودًا يذكر مع وسائل الإعلام المحلية الحكومية التى كانت مبرمجة مسبقًا فى تداول المزاعم الحكومية على أنها حقائق.. واختص القادة العراقيون التليفزيون الحكومى بالكثير من الأحاديث فضلاً عن خطب صدام التى كان لها دور كبير فى رفع المعنويات والتأكيد على تماسك النظام. بدورها استعانت القنوات العربية بخبراء عسكريين لم يتمكنوا من إخفاء تعاطفهم مع الجانب العراقى. إلا أنهم أثروا ذهن المشاهد بمعلوماتهم المتدفقة وبينهم العميد السابق فى الجيش المصرى صفوت الزيات الذى استعانت به قناة أبو ظبى وأحمد بلال اللواء السابق فى الجيش المصرى الذى استعانت به قناة الجزيرة وحاول جاهدًا إخفاء تعاطفه مع الجيش العراقى.

ووقعت محطات تليفزيونية عربية كثيرة فى فخ إيراد تصريحات القادة العسكريين الأمريكيين بدون أى تشكيك وعدم تناولها بالتحليل اللازم فى معظم الأحيان، فبدت وكأنها حقائق وحاول البعض منها الإفلات من الفخ ببدء التصريح بكلمة قال... لنسب الخبر كلية إلى المصدر.. أو إضافة عبارة حسب قوله..

٥ - تحويل العدو إلى شيطان مريد:

5- Demonizing the enemy

حاول الأمريكيون منذ البداية تصوير النظام الحاكم فى العراق على أنه شرير وأدخلوه ضمن ما سموه بمحور الشر، وربما استفاد الأمريكيون من وصف إيران لبلادهم بأنها "الشيطان الأكبر" وحاولت الإدارة تقديم صدام حسين فى صورة شرير لا يؤذى فقط الآخرين ولكن أبناء شعبه.

انساقت وسائل إعلام كثيرة وراء الإدارة الأمريكية بإبرازها قصص دامية حول الأكراد ومقابر جماعية للشيعة. وعمليات إعدام منظمة يمارسها صدام ضد المعارضة.. وفور انتهاء الحرب وفظاعاتها بسقوط بغداد سارعت جميع الفضائيات بلا استثناء إلى الترويج لقصص المقابر الجماعية التى تكتشف هنا وهناك، وشكك البعض على استحياء فى القصة التى لم تأخذ نصيبها من التحليل والتدقيق بعد أن أجهدتها التغطيات المتواصلة لمجريات الحرب..

روج الأمريكيون عبر وسائل الإعلام منذ البداية لقصور صدام وبذخه فى الوقت الذى يعانى فيه شعبه.. وصورته وسائل الإعلام الأمريكية على أنه غير عابئ بمعاناة شعبه. وجرى الحديث عن قصور صدام كأنها قصور فى قصص ألف ليلة وليلة فى بغداد هارون الرشيد.

وبعد انتهاء الحرب دخلت وسائل الإعلام تلك القصور التى أصبحت مقاراً للقادة العسكريين الأمريكيين وبدت خالية من أى مظاهر ترف أو أثاث ثمين.. لكن وسائل الإعلام الغربية ومعها أخرى عربية (قنوات فضائية) أبت أن تتراجع عن موقفها وتقر بأن ما قدمته من قبل كان يفتقر إلى الدقة.. بل أذاعت قنوات تقارير حول البذخ والترف الذى كان يعيش فيه صدام وأولاده وكانت الصورة تكذب الكلمة!!

فى كل حرب – حسب خبراء الدعاية – يتعين أن تكون هناك قصة إنسانية لضحايا من الأطفال "Dead babies Story"

وقبل حرب الخليج الثانية فى عام ١٩٩١ اختلقت ماكينة الدعاية الأمريكية القصة التى نشرتها وسائل الإعلام العالمية، ومفادها أن الجنود العراقيين يقومون بقتل الأطفال حديثى الولادة فى مستشفى بالكويت، وذلك من خلال فصل التيار الكهربائى عن الحاضنات أو المحضنات وهو (جهاز يوضع فيه الوليد ناقص النمو لعدة أيام لحين اكتمال نموه)، وبالغت إذاعة الكويت التى كانت تنطلق من القاهرة وطورت القصة

قائلة إن الجنود كانوا يخرجون الأطفال من الحاضنات ويقذفون بهم خارجها ، وأنهم نقلوا الأجهزة الطبية الحديثة إلى العراق بعد أن نهبوا المستشفيات الكويتية.

وكان الهدف من القصة هو خلق حالة من الإلحاحية أو من الضرورة الملحة لدى الرأى العام بضرورة شن الحرب والتسليم بأنه لم تعد هناك فرصة للجهد الدبلوماسى. ونجح الأمريكيون فى ذلك. ولكن بعد أن وضعت الحرب أوزارها وتحقق الهدف الأمريكى نبشت صحفية وباحثة تدعى/ ماغى أوكين/ Maggie O'Kane (*) القصة خلال قيامها بالبحث حول الابتزاز الذى تعرضت له وسائل الإعلام فى تلك الحرب. التقت أوكين بممرضات المستشفى اللاتى كن شاهدات على القصة فأنكرن حدوث ذلك.. وتتبعت الموضوع فوجدت أن الممرضة التى تم تقديمها للكونغرس الأمريكى كشاهد إثبات للقصة هى ابنة السفير الكويتى فى واشنطن، التى لم تكن قد رأت الكويت منذ عدة أعوام.

(*) ماغى أوكين حصلت على جائزة كاميرون Cameron awa إثر نشر تحقيقها حول هذا الموضوع فى صحيفة Guardian وإذاعته فى القناة الرابعة للتليفزيون البريطانى.

إنقاذ الجندية جيسكا

قام الأمريكيون بأكبر عملية دعاية لقواتهم وتضليل لوسائل الإعلام والفضائيات بوجه خاص التى روجت بالصوت والصورة لقصة الجندية جيسكا لينش (١٩ عامًا) التى تصدت للجنود العراقيين وظلت تقاتل حتى وقعت فى الأسر وتعرضت لسوء المعاملة والاغتصاب، ولكن قوة خاصة أمريكية قامت بعملية إنقاذ شجاعة وأنقذتها من الأسر بعد تسعة أيام، بعد أن خاضت معركة عنيفة مع القوات العراقية التى تحرس المستشفى العسكرى فى الناصرية ونجحت فى نقل الأسيرة إلى الخطوط الأمريكية فى إحدى المروحيات.

فى البداية أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية البنتاغون ونقلت عنها وسائل الإعلام أن الجندية جيسكا لينش أصيبت بنيران عراقية وظلت تقاتل حتى نفدت ذخيرتها. وكانت لينش تخدم فى وحدة الإمدادات بالجيش الأمريكى فى العراق عندما تعرضت القافلة التى كانت بها لكمين بالقرب من الناصرية فى ٢٠٠٣/٣/٢٣ بعد أن اتخذت سيارتهم منعطفًا خاطئًا فوقعت فى الأسر مع ستة جنود آخرين من القوات الأمريكية. وأصيبت لينش بكسور وإصابات أخرى خطيرة فقامت القوات العراقية بنقلها إلى مستشفى الناصرية للعلاج تحت الحراسة.

فى ٢٠٠٣/٤/٢ عرض على الصحفيين الموجودين فى السيلية بقطر شريط فيديو عسكرى يصور عملية إنقاذ لينش من مستشفى عسكرى قرب الناصرية. وطبقًا للرواية الرسمية التى أذيعت أن قوة خاصة أمريكية نفذت العملية وتقدمت إلى المستشفى فى ظل مقاومة عراقية شرسة وأتمت عملية الإنقاذ..

وقال المتحدث العسكرى الأمريكى العميد فينسينت بروكس "وضع بعض الجنود الشجعان أرواحهم على المحك من أجل حدوث ذلك.. فلم يكن لهم أبدًا أن يتركوا رفيقهم يقع فى الأسر..".

وطبقًا لما أوردته دائرة المعارف البريطانية(*) فإن معظم أجزاء هذه القصة وجد فيما بعد أنه غير حقيقى؛ فالجندية كانت مصابة ولكن لم تطلق عليها النار أو تطعن كما

(*) Encyclopaedia Britanica: Year in Review 2003: The Media Go to War.

ذكرت الرواية العسكرية الأمريكية كما أنها لم تتعرض لسوء معاملة، بل بذل الأطباء العراقيون أقصى جهودهم من أجل علاجها.. أضف إلى ذلك أن القوات الأمريكية وصلت بعد مغادرة القوات العراقية منطقة المستشفى ولم تقع أي معارك مع العراقيين.

وعلاوة على ذلك فإن أطباء عراقيين حاولوا إعادة الجندية المصابة إلى القوات الأمريكية قبل يومين من عملية إنقاذها؛ إلا أن سيارة الإسعاف التى كانت تقل الأطباء تعرضت لإطلاق نار لدى وصولها الخطوط الأمريكية فاضطر الأطباء للعودة أدراجهم..

قامت جميع القنوات الفضائية بإذاعة الشريط الذى عرض فى مركز السيلية الصحفى وهو شريط مصور بكاميرات تعمل ليلاً فتظهر الصور كالعادة باللون الأخضر المعتم.. وتم عرض شريط الفيديو الذى يظهر أفراداً من قوة أمريكية يحملون الجندية المصابة على نقالة ويغادرون أحد المواقع، وبالطبع لم يظهر به عراقيون أو معارك أو تبادل لإطلاق النار.. عرض الفيديو فى المحطات التليفزيونية العربية والعالمية مصحوبًا بالرواية الرسمية الأمريكية دون تشكيك.. كانت عملية الإنقاذ بسيطة للغاية فى حقيقة الأمر..

تمكن طبيب عراقى من الوصول للقوات الأمريكية وقال الطبيب لوسائل الإعلام إنه أرشد تلك القوات إلى المستشفى الذى كانت ترقد فيه المجندة تحت حراسة ربما تكون معدومة.

لكن لم يكن أمام المرء سوى أن يعرب عن تقديره للشجاعة الحقيقية التى تحلت بها لينش لاعترافها بحقيقة ما جرى وانتقادها لإعلان البنتاغون معلومات خاطئة عن أسر القوات العراقية لها.

ففى أول مقابلة لها مع وسائل الإعلام اعترفت بالحقيقة. وقالت لمحطة إيه. بى. سى التليفزيونية الأمريكية إنها فقط كانت فى المكان الخطأ فى توقيت خطأ، وأن مسدسها أصابه عطب خلال الفوضى التى وقعت فى أثناء الحادث. وأضافت: "لا أريد أن ينسب إلىّ فضل فعل لم أقم به، فأنا لم أطلق رصاصة واحدة، لقد جلست على ركبتى أصلى، وهذا آخر شىء أتذكره".

إذن لم تقتل لينش أى عراقيين وحتى لم تتبادل معهم إطلاق النار حتى نفاذ ذخيرتها عكس الرواية الرسمية الأمريكية.

لم تتعرض الأسيرة لسوء المعاملة، كما روجت وسائل إعلام أمريكية ونفت ذلك خلال اللقاء، وقالت إنه لم تُسأ معاملتها، بل اعتادت إحدى الممرضات العراقيات أن تغنى لها.

وعندما سألتها مذيعة البرنامج دايان سوير عن ما تردد حول تعرضها للاغتصاب في ظل وجود تقارير طبية تشير إلى أنها تعرضت للاغتصاب. قالت إنها لا تتذكر شيئًا عن الهجوم "إن مجرد التفكير في ذلك يسبب لي ألمًا شديدًا" وبقيت قصة اغتصابها على أيدي العراقيين أمرًا يحتاج إلى إثبات مع عدم تأكيدها هذا الأمر..

الطريف في الأمر أن وزارة الدفاع الأمريكية مضت في وضع الرتوش على القصة قبل تكذيبها من قبل الأسيرة؛ ومنحتها وسام النجمة البرونزية ووسام القلب الأرجواني ووسام أسير الحرب. لكن لسوء حظ العسكريين الأمريكيين فإن جيسكا كتبت مذكراتها في كتاب صدر بينما كانت تتماثل للشفاء وحمل عنوان "أنا أيضًا جندية – قصة جيسكا لينش" من إعداد ريك براج/ من صحيفة نيويورك تايمز وظلت الأوسمة العسكرية وكتاب لينش شاهدًا ماديًا ماثلاً على كذب العسكريين وانجراف وسائل الإعلام وتصديقها للقصة الدعائية دون تمحيص للأكاذيب الواردة فيها. ونجحت القصة في وقتها بفضل وسائل الإعلام في تحقيق الأهداف المراد لها أن تكون.

لقد مارس الأمريكيون عملية تضليل كبيرة من أجل إخراج هذه القصة بهذا الشكل فبدا مشهد إنقاذ الجندية جيسكا، كما لو كان قد اقتبس من فيلم "إنقاذ الجندي رايان" للمخرج الأمريكي الشهير ستيفن سبيلبرغ.

ويرجح هذا شاهد عيان هو الطبيب أنور عدي الذي حكى القصة الحقيقية لوسائل الإعلام بعد سقوط بغداد "إنه كان يبدو مثل فيلم هوليودي.. جاء الجنود وصاحوا اذهبوا اذهبوا وهم يشهرون بنادقهم.. لقد قاموا بتنفيذ عرض لهجوم أمريكي على المستشفى كما لو كان أحد أفلام سيلفستر ستالوني أو جاكي شان".

إسقاط التمثال

كان مشهد إسقاط تمثال الرئيس العراقى صدام حسين فى ميدان الفردوس ببغداد يوم التاسع من أبريل الذى نقلته شبكات التليفزيون على الهواء فى جميع أنحاء العالم، من أكثر المشاهد إثارة للجدل. فيرى العديد من رجال الإعلام أنه تمت ممارسة عملية تضليل كبرى للمشاهد. فقد صور المشهد بكاميرات ثابتة ما يوحى بأنه تم الإعداد لذلك عن عمد. كما أنه لم يسمح باستخدام كادرات واسعة تظهر الميدان بكامله للإيحاء عمداً بأن آلاف العراقيين شاركوا فى عملية إسقاط التمثال بمساعدة القوات الأمريكية على الرغم من أن الميدان الكبير بدا خاليًا سوى من مجموعة تحيط بالتمثال ومدرعات أمريكية.

وفى برنامج "مع هيكل" خلال حلقة أذاعتها قناة الجزيرة فى ٢٠٠٤/٩/١٦ (الخميس) يقول الصحفى المصرى ذائع الصيت محمد حسنين هيكل "كان هناك ٢٥٠ مائتين وخمسين شخصًا أتوا من دولة عربية لتصوير مشهد سقوط تمثال صدام حسين، ويؤكد أن الأمريكيين لجأوا إلى هذه الحيلة عندما بدا أنه لا يوجد ترحيب بالجيش الأمريكى، فكان هناك حاجة لمشاهد ترتبط بقوات التحرير كما فى تشيكوسلوفاكيا ومثلت هذه المشاهد للأسف – ويشير إلى أن المشهد حصل فى العديد من دول أوروبا الشرقية للتمرد على الأوضاع السابقة.

قامت مجموعة نشطاء أمريكيين فى مجال مراقبة ما تنشره وسائل الإعلام Media watching activities بتحليل اللقطات الحية التى بثتها وسائل الإعلام من ميدان الفردوس لحظة إسقاط تمثال صدام، واستخلصوا أن العراقيين الذين شاركوا وفرحوا بسقوط التمثال هم مجموعة مأجورين من عملاء المعارضة العراقية الموالية للأمريكيين وقارنوا بين صورتين إحداهما لرجل من ميلشيات أحمد الشلبى كان بجوار الشلبى لحظة دخوله الناصرية يوم ٢٠٠٣/٤/٦ مع مسلحين أطلق عليهم "قوات التحرير العراقية" وصورة أخرى التقطها مصور وكالة رويترز من ميدان الفردوس وفيها نفس الرجل وقام عدد من المتخصصين باستخدام برامج معالجة الصور للتأكيد

على تطابق الشخصين(*).

وهناك رواية أخرى نشرها موقع Vox Fux الذى يهتم بمراقبة الإعلام الزائف وهو موقع أمريكى على شبكة الإنترنت أشار إلى رواية قد تكون متناقضة بعض الشىء مع الروايتين السابقتين، وتقول إن مجموعة من العراقيين حاولوا يوم ٩ أبريل إسقاط تمثال صدام. وشاهد مصور (سى. إن. إن) المنظر من فندق فلسطين الذى يقع مقابل الميدان فاتفق مع قائد القوات الأمريكية الذى كان موجودًا بالميدان على نقل وقائع إسقاط التمثال مباشرة على الهواء بعد تجميع عدد من المأجورين العاملين لصالح المخابرات الأمريكية فى الميدان لكى يظهر أن القوات الأمريكية جاءت لتحرير العراقيين ويذهب محللون بعيدًا حين يرون أن قصف فندق فلسطين قبل يوم من إسقاط تمثال صدام كان يهدف لتفريغه من الصحفيين والمصورين الأجانب بينما يبقى فى الفندق من سينقل للعالم مشهد إسقاط تمثال صدام.

وعلى الرغم من أننى لا أميل إلى هذه الرواية أو تلك وتأييد هذا الجانب على حساب الآخر إلا أن المسئولين الأمريكيين لم يبذلوا جهدًا فى الرد على تلك الاتهامات التى صدر معظمها من داخل الولايات المتحدة نفسها، أو ربما لم ينجحوا فى إيجاد إجابات مناسبة للأسئلة والتساؤلات التى أثارها بنجاح أمريكيون معارضون للحرب، فالفيلم التسجيلى "أسلحة الخداع الشامل"(**) يرى أن مشهد إسقاط تمثال صدام كان مفتعلاً وساق الحجج على ذلك. وقال إنه كان مُعدًا مسبقًا من قبل وحدة دعاية فى الجيش الأمريكى.

(*) HTTP://ww.Islamonline.net.

(**) Weapons of Deception by: Danny Schechter of Meadia channel.org.

قيــود إعلاميــة

قيود عراقية

قبل بداية الحرب الثالثة استقبل العراق المئات من الصحفيين العرب والأجانب العاملين فى أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة. وسمح لنحو أربعمائة وخمسين هيئة إعلامية بالعمل من الأراضى العراقية وقدمت وزارة الإعلام العراقية الكثير من التسهيلات للصحفيين الأجانب والعرب الذين كانوا يلهثون وراء المفتشين الدوليين عن أسلحة الدمار الشامل العراقية المزعومة.

كان بإمكان المراسلين مطاردة المفتشين الدوليين الذين كانوا يقومون بزيارات مفاجئة للمواقع العراقية والمنشآت والمؤسسات والمصانع التى يعتقد أن العراقيين يخفون فيها أسلحة دمار شامل أو مكوناتها ومواد ومعدات تدخل فى تكوينها. طاردت كاميرات وعدسات المصورين المفتشين أينما ذهبوا دون تدخل من السلطات العراقية التى لم تكن تعلم مسبقًا وجهة المفتشين.

وحظيت الشبكات الإخبارية بوجبات دسمة من التقارير التى أعدها مراسلوها حول مغامرات المفتشين الدوليين فى أنحاء العراق. وتابعت الشبكات لحظة بلحظة عملية تدمير العشرات من صواريخ "الصمود اثنان" التى كانت آخر تنازل يقدمه العراق للأمريكيين والبريطانيين من أجل تجنب الحرب.

لكن سحب المفتشين الدوليين من العراق بضغوط أمريكية بريطانية رغم مقاومة الدول الثلاث الأخرى دائمة العضوية فى مجلس الأمن كان قد هيأ الأجواء تمامًا لبدء الحرب. وكان الوقت متاحًا أمام وزارة الإعلام العراقية المعنية بأمر المراسلين العرب والأجانب كى تقرر ما تراه مناسبًا لصالح العراق. وبدا واضحًا أن العراقيين قد سحبوا الامتياز السابق الذى منحوه لشبكة سى. إن. إن. فى حرب الخليج الثانية "حرب عاصفة الصحراء" فى بداية عام واحد وتسعين وتسعمائة وألف. منح هذا الامتياز لقنوات عربية نجحت ثلاث منها إلى حد كبير فى تغطية الحرب على الجانب العراقى. قررت وزارة الإعلام العراقية منع شبكة سى. إن. إن. وشبكات إخبارية أخرى من العمل من على سطح مبنى وزارة الإعلام العراقية المطل على نهر دجلة بوسط العاصمة

العراقية بغداد. فلم تتمكن تلك الشبكات من نقل وقائع القصف الجوى الأمريكى البريطانى لبغداد. فى الحرب الثانية كان بإمكان ثلاثة مراسلين لشبكة سى. إن. إن. العمل من فوق سطح مبنى فندق الرشيد ونقلت بكاميرات ليلية وقائع الغارات وانطلاق قذائف ونيران المضادات الجوية لتغطى سماء بغداد فى محاولة للتصدى للطائرات المغيرة. لكن هذه المرة كان مراسل السى. إن. إن. يعمل من ملجأ أسفل الفندق الذى يقيم فيه. وصعد مراسلو الجزيرة وقناة أبو ظبى إلى سطح مقريهما فى بغداد لتصوير أول غارة جوية على بغداد ونقلت عنهما جميع محطات التلفزة العالمية تلك الوقائع وما تلاها بعد أن منعهم العراقيون من التمتع بفرصة مماثلة.

فرضت السلطات العراقية حراسة لصيقة على المراسلين العاملين فى بغداد. وتم استبدال المدنيين العراقيين بجنود لمرافقة المراسلين بعد بدء الحرب وهو أمر أثار مخاوف معظم المراسلين، فانخفض عدد وسائل الإعلام التى حصلت على إذن بتغطية الحرب من أربعمائة وخمسين إلى ثلاثين فقط. وساعد على هروب وسائل الإعلام من بغداد عشية بدء الحرب تحذيرات وزارة الدفاع الأمريكية والرئيس جورج بوش من خطر بقاء رجال الإعلام فى العاصمة العراقية. وانصاع معظم المراسلين الأمريكيين أو بالأحرى تجاوبوا مع التحذيرات وهموا بمغادرة بغداد.

ولم تستثن وزارة الإعلام العراقية مراسلى محطات التليفزيون العربية من تلك القيود وحاولت توجيهها إلى تناول أمور معينة. ويبدو أن المراسلين العرب قد تجاوبوا طوعًا انقيادًا لمشاعرهم الشخصية فهم عرب فى عاصمة عربية تتعرض لعدوان أجنبى مهما تغيرت مسمياته وأهدافه المعلنة.

إلا أن تجاوزات وزارة الإعلام العراقية بدت واضحة تمامًا عندما قررت إغلاق مكتب قناة الجزيرة فى بغداد قبل أن تعود عن قرارها لاحقًا.. وقبل ذلك تلقت القناة عشرين إنذارًا بالإغلاق على مدار عشرين يومًا بسبب دعاوى تتعلق بالتغطية الإعلامية. وقال ماجد عبد الهادى مراسل القناة آنذاك فى أحد برامجها "إن إغلاق المكتب ربما يكون قد وقع بوشاية من جهة (إعلامية) منافسة". واشتكى ماجد من عدم تمكن مراسلى القناة من الذهاب إلى المواقع التى تعرضت للقصف فى بغداد..

غير أن الجزيرة قد تمكنت من بث تقارير عن ضحايا القصف الأنجلوأمريكى وكان من بينهم طفل انشطر نصف رأسه وطار بعيدًا وهو ما أحدث ضجة كبيرة. وربما لم تتعرض قناة أبو ظبى المنافسة لتلك القيود بنفس الحدة ربما لتفهم مراسلها شاكر حامد للأوضاع والسياسات ونقلها لزملائه ومحاولة تسهيل مهامهم التى قدموا من أجلها.

ويسوق ماجد عبد الهادى واقعة تهديد صريح من وزير الإعلام العراقى. ففى صبيحة يوم السابع من أبريل توغلت قوات أمريكية فى بغداد وفى مقابلة حية مع الجزيرة من بغداد أشار عبد الهادى إلى أنه سمع أصوات قصف وقال: "إننى لم أشاهد القوات الأمريكية تصل إلى المنطقة، أنا أسمع أصوات معركة، أصوات قصف، ولم أشاهد، لننتظر الرواية العراقية فى هذا الموضوع.

رأى العراقيون في ذلك تأكيداً للرواية الأمريكية الرسمية التى قالت: إن القوات الأمريكية توغلت فى وسط بغداد فى ذلك اليوم. وخرج محمد سعيد الصحّاف على رجال الإعلام ليقول عبارة شهيرة أذاعتها قناة الجزيرة لشهور طويلة كمقتطف للتأكيد على حيادها.

"وأنا ألوم – الجزيرة – مرة أخرى، إنها تسوق للأمريكان قبل أن تتأكد، أرجوكم دققوا، وأرجوكم لا تلعبون هذا الدور، ابحثوا عن الحقيقة، أنا أقول لكم كلام، ودائماً أطلب منكم أن تدققوا".

ويكشف ماجد لأحد برامج الجزيرة(*) أنه "بعد انتهاء هذا المؤتمر الصحفى الذى عقده الصحّاف، استدعانى، وعلى مرأى من عدد كبير من الصحفيين هددنى بقطع يدى وشتمنى شتائم، يعنى لا يمكن الآن ذكرها على.. على.. الهواء، هذا كما قلت جزء من الضغوط، أنا أعتقد أن.. أنه لم يشاهد ما قلت وإلا لما كان فعل ذلك".

ويتهم ماجد بعض المسئولين المقربين من الصحّاف بأنهم أوحوا له بذلك خدمة لأغراض شخصية تتعلق بالمنافسة مع قنوات فضائية أخرى.

وحول الضغوط التى تعرض لها المراسلون الصحفيون وشبكات التلفزة الأجنبية من جانب السلطات العراقية، يقول روبرت مينار الأمين العام لمنظمة صحفيون بلا حدود للبرنامج نفسه "كان على الصحفيين الأجانب أن يصاحبوا دائمًا، إذا شئت أن أقول كلمة جواسيس يذكرون إلى وزارة الإعلام ووزيرها، كل نفس يتنفسونه ويراقبون ماذا يفعلون بالضبط، بل يدفعونهم دفعًا بعيدًا عن ساحة التصوير، والتغطية عندما تكون الأسئلة حرجة، ويمنعونهم فى الأخير من ممارسة عملهم بحرية".

وعلى الرغم من هذه القيود التى بدت على أشدها فى العاصمة العراقية، فإن وزير الإعلام محمد سعيد الصحّاف نجح فى جذب القنوات العالمية لمؤتمراته الصحفية التى كان الجميع ينتظرها بفارغ الصبر وخطف الأضواء من كافة المراسلين على الجانبين.

(*) ما وراء الأحداث "التغطية الصحفية فى الحرب على العراق" ٢٠٠٣/٤/٢٢.

ونظم جولات للصحفيين إلى أماكن مختلفة أبرزها مطار بغداد قبل أن يسقط فى أيدى الأمريكيين بساعات لنفى دعاوى أمريكية بسقوطه. وحاول الرجل استرضاء الصحفيين والمراسلين العرب بخصهم ببعض الأحاديث إلا أنه كان يعمل على تقريب هذا الجانب وإبعاد الآخر فى مرحلة ما فابتعد عن الموضوعية فى التعامل.

كانت المعاملة التى يلقاها المراسلون خارج بغداد أشد قسوة من الجانب الرسمى العراقى. فطاقم قناة "العربية" الإخبارية الذى دخل مع القوات الأمريكية من جنوب العراق اتهم من قبل مسئولى حزب البعث بالخيانة بسبب دخوله مع الأمريكيين واحتجز الطاقم المكون من ثلاثة أشخاص وجرد من أمتعته ومعداته وكاد يتعرض للموت لولا الفوضى التى حدثت مع دخول القوات البريطانية إلى تلك المنطقة، وأجبر العراقيون شبكات تليفزيونية عريقة مثل "سى. إن. إن." الإخبارية على عدم نقل الصورة كما تراها فى العراق. وخففت الشبكة من حدة التقارير حول نظام الرئيس العراقى صدام حسين مقابل استمرار تواجدها فى بغداد. واعترف كبير المديرين التنفيذيين للأخبار "ايسون جوردان" بقوله: "إن الشبكة حجبت تفاصيل عن الفظائع التى ارتكبها نظام صدام حسين لحماية مصادر الأخبار العراقية من التعذيب والقتل" وأدت هذه الاعترافات إلى تعرض الشبكة لحملة انتقادات عنيفة على شاشات التلفاز المنافسة وصفحات الصحف.

لكن على كل لم يعمد العراقيون إلى قتل الصحفيين المراسلين على عكس ما فعل الأمريكيون الأكثر حديثًا عن حرية الإعلام!!!

وفى هذا السياق أدانت منظمة "صحفيون بلا حدود" "القيود الصارمة" التى فرضتها وزارة الإعلام العراقية خلال الحرب، وقالت فى بيان أصدرته عقب انتهاء الحرب "السلطات العراقية فى ذلك الوقت ألقت بضغوط هائلة على وسائل الإعلام الأجنبية فقد ابتزت مراسلين صحفيين ماليًا وأبعدتهم عن بغداد واعتقلتهم وأساءت معاملتهم".

قيود أمريكية

ضاق صدر الأمريكيين بوسائل الإعلام العراقية وتصاعدت نوبات الضيق إلى حد الإعلان صراحة أن مبنى التليفزيون العراقى قد أصبح هدفًا لطائرات التحالف، وذلك فى ٢٦ مارس.. وبرر الجنرال ريتشارد مايرز Richard Myers رئيس أركان القوات الأمريكية هذا التصرف فى تصريح لقناة سى. إن. إن. الإخبارية فى ٣٠ مارس بأن البنتاغون (وزارة الدفاع الأمريكية) قد بات يرى مبنى التليفزيون العراقى هدفًا مشروعًا على اعتبار أنه أصبح يستخدم كوسيلة للقيادة والسيطرة. ولما كان القصف قد طال محطات الإرسال والتقوية منذ ٢٥ مارس فقد أثير التساؤل على لسان المذيع "Wolf Blitzer" إذن لماذا استمر البث التليفزيونى العراقى للآن؟! فكان رد مايرز بأن البنية التحتية للبث التليفزيونى العراقى قوية جدًا لكن التحالف يتعامل معها..

وبسبب انقطاع الإرسال التليفزيونى العراقى على إثر الاستهداف المتواصل لمرافق الاتصالات فى بغداد وشكوى العراقيين من استهداف البنى التحتية والمدنية؛ قام معهد الصحافة الدولى The International Press Institute الذى يتولى متابعة وسائل الإعلام بتحذير الأمريكيين من مغبة قصف مبنى الإذاعة والتليفزيون. مذكرًا بأن ذلك يعد انتهاكًا غير مبرر لاتفاقية جنيف. إلا أن الأمريكيين كانوا – فى نظر الكثيرين – غير آبهين بالاتفاقات والمواثيق الدولية. وتم تجاهل هذا التحذير وتلك الصادرة من مؤسسات إعلامية دولية وأصروا على إسكات الصوت الحكومى..

"Reporters Sans Frontieres"

وكان من بين المنددين باستهداف وسائل الإعلام العراقية منظمة "مراسلون بلا حدود" "Reporters Without Borders" وطالبت بتشكيل لجنة لتقصى الحقائق للتحقيق فى قصف وسائل الإعلام العراقية على اعتبار أن هذا ربما يعد انتهاكًا للقانون الإنسانى الدولى. وأكد السكرتير العام للمنظمة روبرت مينار Robert ménard "إن وسائل الإعلام لا يمكن اعتبارها هدفًا عسكريًا بمقتضى القانون الدولى ومعداتها ومرافقها تعتبر مدنية يتم حمايتها بمقتضى اتفاقيات جنيف..

لقد صقلت الحروب السابقة خبرة العراقيين فى التعامل مع الظروف الصعبة وإمكانية إيجاد البدائل الجاهزة.. وبدا أن القناة الفضائية العراقية قد أعدت استوديوهات بديلة فى أماكن سرية للبث منها عوضًا عن المبنى المعروف الذى يطل على نهر دجلة فى العاصمة والذى كانت لا تضله الطائرات الأمريكية. وقاوم التليفزيون والإذاعة العراقية المحاولات المضنية التى قامت بها القوات الأمريكية إلى أن جاء يوم السابع من أبريل اليوم السابق لعبور الدبابات الأمريكية نهر دجلة فى بغداد حتى توقف إرسال الفضائية العراقية تمامًا، وقد قصف المبنى ودمر تمامًا ومعه مكاتب وزارة الإعلام.. وجالت كاميرا قناة أبو ظبى فى مكتب وزير الإعلام محمد سعيد الصحّاف لترصد مدى الدمار..

وبعد هذا اليوم لم يظهر الصحُّاف سوى فى اليوم التالى الثامن من أبريل مع حشد من الصحفيين أمام فندق فلسطين كى يدلى بآخر تصريحاته النارية على بُعد مئات الأمتار من القوات الأمريكية ثم يغيب فى وسط الفوضى والخوف والرصاص المتساقط فى ذلك اليوم ببغداد..

عشية الحرب على العراق أوقفت قناة إم. إس. إن. بى. سى M S N B C الأمريكية مقدم البرامج فيل دوناهو Phil Donahue عن العمل بدعوى أنه سيكون منحازًا للمعسكر المناوئ للحرب. وقالت المحطة فى مذكرة داخلية (٢٠٠٣/٢/٢٥) تم تسريبها "سيكون أحد الوجوه المستعصية على إن. بى. سى خلال فترة الحرب.. إنه يبدو سعيدًا بتقديمه ضيوف ضد الحرب ومناهضين لبوش ويبدى الشكوك فى دوافع الإدارة الأمريكية"(*).

وحذرت إدارة المحطة من أن برامج فيل يمكن أن تكون "منتدى للأجندة الليبرالية المناهضة للحرب فى الوقت الذى تظهر فيه القنوات المنافسة توجهها الوطنى فى كل مناسبة".

بيتر أرنيت *Peter Arnett*

بيتر أرنيت مراسل شبكة سى. إن. إن. الإخبارية فى حرب الخليج الثانية الذى ضربت شهرته الآفاق فى ذلك الوقت، والذى توقع له الكثير أن يعود للوقوف تحت الأضواء فى الحرب الثالثة تخلى عنه الحظ وخاض حربًا أخرى بدلاً من قيامه بتغطية الحرب على العراق وأصبح طرفًا فى ذلك الصراع.

(*) Some Critical Media Voices Face Censorship.

(*) Fair – Fairness & accuracy in Reporting.

استعانت قناة N. B.C بأرنيت لتغطية حرب الخليج الثالثة من بغداد وكان مرشحًا لعمل تغطيات متميزة بعد طرد السلطات العراقية لمعظم المراسلين الأمريكيين. إلا أن القناة اضطرت للتخلي عنه وفصله بعد مقابلة مثيرة للجدل مع التليفزيون الحكومي العراقي أكد فيها أن الحملة العسكرية الأمريكية على العراق قد أخفقت على الرغم من أنها كانت في أسبوعها الثاني. وعزت القناة قرار فصل الصحفي الحائز على جائزة بوليتزر Pulitzer للصحافة إلى إجراء تلك المقابلة في زمن الحرب خاصة وأنه أخطأ في إبداء ملاحظاته وآرائه الشخصية خلالها.

لم يشفع لأرنيت اعتذار سابق اضطر إليه على شاشة قناة N. B.C. التي يعمل معها إلا أن اعتذاره تضمن تعليقات ربما أغضبت القناة عندما أشار إلى أنه أوضح ما يعرفه الجميع حول الحرب. وكانت إن. بي. سي. قد اضطرت لعرض تقاريره بعد أن اضطر مراسلوها إلى مغادرة بغداد لأسباب أمنية. وكان أرنيت متعاقدًا مع M S N B C المؤسسة التي تملك N. B.C ، وكانت تستعين به في تغطية أخبار الحرب.

ويعد أرنيت واحدًا من المراسلين القلائل الذين تمكنوا من عمل تقارير مصورة عن حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ خلال تغطيته للحرب من بغداد. وتمكن أيضًا من البقاء مع عدد قليل من الصحفيين الأمريكيين خلال الحرب الثالثة في العاصمة العراقية.

عندما عمل مع M S N B C . وكان يشعر بإجحاف كبير من جانب سي. إن. إن. التي قامت بالاستغناء عنه في عام ١٩٩٨. على الرغم مما قدمه لها من تغطيات متميزة حسبما يرى.

"كنت غاضبًا من تيد تيرنر (مؤسس سي. إن. إن) وتوم جونسون (المسئول عنها آنذاك) عندما ألقوا بي إلى الذئاب بعد أن حققوا من ورائي مليارات فقد خاطرت بحياتي لتغطية الحرب (حرب الخليج الثانية) والآن فإنهما ذهبوا (سي. إن. إن) بعد طرد العراقيين لطاقم سي. إن. إن من بغداد وأنا ما زلت هنا".

أرجع تيرنر عودته إلى بغداد لاحترام العراقيين له "إنهم يعلمون أنني قد لا أتفق معهم، لكنني أحظى باحترامهم".

يذكر أن أرنيت النيوزيلاندي المولد قد أثار ضجة خلال الحرب الثانية عندما قال لسي. إن. إن.

"إن قوات التحالف قصفت مصنعًا للبن الأطفال قالت تلك القوات إنه مصنع لإنتاج الأسلحة البيولوجية". واتهمته إدارة بوش الأب بأنه يقوم بنقل الدعاية المعادية ، غير أنه حظي بمصداقية لدى العراقيين.

إلا أن السبب الذى دفع سى. إن. إن. للاستغناء عنه هو اتهامه للقوات الأمريكية - فى تصريحات على الهواء عام ١٩٩٨ - بأنها قامت فى عام ١٩٧٠ باستخدام غاز السارين السام للقضاء على منشقين لجأوا إلى قرية تدين بالبوذية فى منطقة تقع فى لاوس وعلى الحدود مع تايلاند.

كتبت صحيفة الأبزيرفر Observer البريطانية فى عمودها الرئيسى فى ٢٠٠٢/٦/١٥ قائلة: "لقد أعلنها البنتاغون منذ البداية (بداية حرب العراق أنه لن تكون هناك رقابة. غير أنه لم يصل لحد القول بأن المراسلين الحربيين قد يجدوا أنفسهم فى موقف مماثل لما حدث فى كوريا فى ١٩٥٠. وهو ما وصفه مراسل أمريكى على اعتبار أنه (بإمكانك أن تكتب ما تشاء - ولكن إذا لم يحز رضانا سوف نطلق النار عليك) إن الأرقام فى العراق تنبئ بقصة مريعة. قتل ١٥ من العاملين فى وسائل الإعلام؛ وفقِدَ اثنان من المفترض أنهما ماتا. وإذا ما وضعت فى الاعتبار قصر الأمد الزمنى للحملة، فإن حرب العراق ستعتبر الأسوأ شهرة بالنسبة للمخاطر التى يواجهها الصحفيون على الإطلاق".

الصحيفة مضت إلى القول إن القوات الأمريكية التى قتلت عدداً كبيراً منهم ربما تكون قد اتخذت نهجًا مماثلاً لذلك الذى اتخذه الرئيس بوش فى الحرب على الإرهاب عندما أعلن أن "إما أن تكونوا معنا أو ضدنا" وطبق هذا النهج على الصحفيين المراسلين الذين أُدمجوا فى القوات الأمريكية وحظيوا بحمايتها، أما الذين اتخذوا طريقًا مستقلاً أو بالأحرى الذين ينقلون الحرب من جانب العدو فإنهم خاطروا باستهدافهم من قِبَل الأمريكيين.

اعتبر جون سيمبسون John Simpson محرر الشئون الدولية ومراسل بى. بى. سى. الحربى المخضرم أن الجنود الأمريكيين كانوا يمثلون الخطر الرئيسى على الصحفيين الذين شاركوا فى تغطية الحرب على العراق.

وأرجع سيمبسون جذور المشكلة إلى أن الصحفيين المرافقين للقوات الأمريكية يخضعون لأقصى قدر من الرقابة بما يدعو المراسلين إلى العمل مستقلين فى ظل مخاطر الحرب. وهذا الأمر يعنى على حد قوله إن المراسلين أصبحوا "أهدافًا محتملة" للقوات الأمريكية والبريطانية. وقال فى محاضرة (٢٠٠٢/٦/٢٧) فى جامعة أوكسفورد بمناسبة تأبين أحد المترجمين العاملين مع بى. بى. سى. اللذين قُتلا فى العراق بنيران صديقة. "أعتقد أنه من الضرورى لنا أن نحاول معرفة السبب فى قتل الأمريكيين لأعداد كبيرة من الصحفيين. على الأقل نقنع إدارة بوش والرأى العام الأمريكى أن شيئًا ينطوى

على قدر كبير من الخطأ حدث هذه المرة، وأنه في الحرب القادمة - إذا ما كانت هناك حرب - يتعين على العسكريين الأمريكيين أن يكونوا على قدر كبير من الحرص". وعلى الرغم من أن سيمبسون أكد في محاضرته أنه ليس مناوئًا للأمريكيين فإنه شدد على أن حادث قصف مكتب قناة الجزيرة في بغداد خلال الحرب يعتبر أمرًا مثيرًا للتساؤلات بغض النظر عن كونه عملاً متعمدًا أم لا.

وكان سيمبسون قد أصيب في قصف للطائرات الأمريكية أودى بحياة مترجم كردي كان يعمل مع بي. بي. سي. ويدعى عبد الرازق محمد.

ويفند المحلل السياسي منذر سليمان المقيم في الولايات المتحدة الدوافع التي أدت إلى استهداف الأمريكيين للصحفيين قائلاً: مع اقتراب القوات الأمريكية من بغداد" وتنامي الخشية من لدى القادة العسكريين من حصار طويل أو مواجهة حرب شوارع شديدة الشراسة ازداد اهتمام قادة الحملة العسكرية الأمريكية بضرورة إسكات أي صوت إعلامي لا يخضع للتوجيه الأمريكي، وجاء استهداف مكتبي الجزيرة وأبو ظبي، وقصف فندق فلسطين تأكيدًا على هذه الرغبة الجامحة في إنهاء طرف المعادلة الجديد في الحرب (الحضور الإعلامي)، والذي يهدد بأن يكون له مفعول تعبوي خطير في تكوين وصياغة الرأي العام العراقي والعربي والدولي".

تضييق على حرية العمل

كانت قناة العربية مجرد وليد يحبو بين يدى الإعلامى المحنك صلاح نجم لدى شن الحرب على العراق، ولذا تأخرت انفراداتها الصحفية عن الفضائيات العربية الأخرى. لكنها نمت سريعًا فى فترة ما بعد انتهاء العمليات العسكرية الرئيسية وخفوت نجم قنوات فضائية أخرى تحولت إلى برامج المنوعات الاعتيادية بعد أن أنهت حالة الطوارئ بداخلها.

لم تهدر قناة العربية وقتًا لدى حصولها على تسجيلات صوتية للرئيس العراقى صدام حسين الذى كانت تطارده قوات الاحتلال وسارعت إلى إذاعتها. كانت القناة تعتمد خطة محددة فى التعامل مع هذه التسجيلات وهى الاستماع المبدئى إلى التسجيل الصوتى الذى يصل إليها ثم تذاع الأجزاء الصالحة منه فنيًا، أى معظمه كخبر عاجل بمعنى أن يتم قطع الإرسال وبث الخطاب إذا لم تكن هناك نشرة أخبار تبث على الهواء. وتعرض صورة ثابتة لصدام على الشاشة مصاحبة للتسجيل الصوتى يرافقها عبارات تكتب على الشاشة تلخص أهم ما يجىء فى الخطاب ويتم استبدالها.

وفى النشرات اللاحقة لا يتم إذاعة التسجيل الصوتى كاملاً، ولكن يذاع أكثر من مقطع صوتى "Clip" كل يتناول فكرة رئيسية فى الخطاب ولا يتعدى ذلك ثلاثة مقاطع صوتية. ويتم فى معظم الأحيان استبدال تلك المقاطع ما بين نشرة وأخرى.

وكانت وسائل الإعلام العربية والعالمية تنسب لقناة العربية هذه الخطابات إذا لم تكن قد أُذيعت بقناة الجزيرة المنافسة وتمثل سبقًا صحفيًا للقناة بكل تأكيد، فسماع صوت الرجل الذى يطارده أقوى جيش فى العالم ويخفق فى الإمساك به ليس بالأمر الهين، خاصةً وأن الرجل كان يظهر صلابةً وعنادًا فى خطاباته ويتحدث بطريقة توحى بأنه عائد إلى حكم العراق. وكان يوحى بالثقة، وبدا وكأنه يدير أمور العراقيين تحت الاحتلال خاصةً عندما تحدث فى إحدى خطبه عن أملاك للدولة أصبحت بحكم الاحتلال فى أيدى عراقيين مثل الشاحنات والأوراق الرسمية وخلافه، وربما كان صدام فى تلك المرحلة المبكرة لم يستوعب تمامًا حقيقة ما حدث لأنه بحكم الواقع كان رئيسًا للعراق ولم يكن له أى بديل سوى مجلس الحكم

الانتقالى، ولكن ليس فيه منصب رئيس الجمهورية؛ ولذلك كان يطلق عليه الرئيس العراقى، المخلوع فى وسائل الإعلام، وسقط البعض فى خطأ تسميته بالرئيس السابق، وبالغ البعض حينما أطلق عليه تسميات لا تليق بوسائل يتعين عليها عدم الانحياز مع أو ضد أى طرف مثل الديكتاتور الهارب أو الطاغية صدام حسين.

وكانت أهمية هذه الخطابات تتمثل فى أنها كانت تتواكب مع تنامى روح المقاومة لدى الشعب العراقى. وكانت التسجيلات الصوتية تدعو العراقيين إلى نبذ الخلافات والتوحد ومقاومة قوات الاحتلال.

ورأى الأمريكيون أن هذه التسجيلات تعمل على تحريك من وصفوهم بفلول النظام السابق من كوادر حزب البعث وإشعال روح المقاومة لدى طائفة السنة، التى ينتمى إليها صدام فى منطقة تمتد من بغداد إلى الفلوجة وصولاً إلى تكريت وهو ما عرف بتسميته مثلث السنة.

ورأت السلطة العراقية تحت الاحتلال الممثلة فى مجلس الحكم الانتقالى العراقى الذى اختاره الأمريكيون خطرًا داهمًا فى خطابات صدام وكابوسًا قد يتحول إلى حقيقة بعودة حزب البعث من جديد إلى الحكم.

كان مجلس الحكم الانتقالى يروج لعراق جديد بعد سقوط صدام خلال حرب أكد الأمريكيون أنها ترمى لتحرير العراق من براثن نظام ديكتاتورى سعى طيلة ثلاثة عقود إلى تكميم الأفواه وقص رقاب المعارضة.

لكن الانفلات الأمنى وهشاشة المجلس وتزايد ضربات المقاومة لقوات الاحتلال التى لم تكن أعدت نفسها لحرب العصابات جعل الأمور تأخذ منحى آخر خاصةً بعد سقوط أحد أعضاء مجلس الحكم الانتقالى وهى عقيلة الهاشمى التى ماتت متأثرة بجروح شديدة أصيبت بها فى هجوم دبره مجهولون.

وفور الاعتداء على عقيلة الهاشمى وبينما كانت تتلقى العلاج أصدر مجلس الحكم الانتقالى العراقى قرارًا فى ٢٠٠٣/٩/٢٢ أعلن فيه منع قناتى الجزيرة والعربية من تغطية جميع أنشطته الرسمية بسبب ما وصفه بتحريضهما على العنف.

وتقرر عدم السماح لمراسلى القناتين بدخول الأبنية الحكومية خلال الفترة المحددة بسبب "تصرفاتهما غير المسئولة" بعد بثهما رسالة صوتية منسوبة إلى صدام يدعو فيها العراقيين إلى حمل السلاح.

ورافق هذه العقوبة الإعلان عن قواعد تحدد أطر عمل وسائل الإعلام فى العراق من أجل السماح لها بالاستمرار فى العمل وهى:

١ - المحتوى والمضمون:

(أ) عدم التحريض على العنف ضد الأشخاص والمجموعات.

(ب) عدم التحريض على إشاعة الفوضى.

(جـ) عدم التحريض على العنف ضد السلطات القائمة والمسئولين.

(د) عدم الترويج لعودة حزب البعث أو إصدار بيان يدعى تمثيل حزب البعث بشكل مباشر أو غير مباشر.

(هـ) عدم التحريض على إشاعة الفتن الطائفية والعنصرية والدينية.

٢ - الأداء والأسلوب:

ينبغى على كل المقيمين (مواطنين وأجانب) إخبار السلطات بأية معلومات يحصلون عليها قبل أو بعد حصول عمليات إرهابية.

ومن الداعى إلى السخرية أن البيان الذى أصدره المجلس حمل توقيع الرئيس الدورى بالوكالة إياد علاوى الذى أصبح فيما بعد رئيسًا للحكومة العراقية المؤقتة، والذى كان من قبل أحد عناصر حزب البعث قبل أن ينقلب عليه صدام ويغادر العراق.

هذه القواعد التى لم يكن لها مثيل فى العهد السابق أضرت كثيرًا بمجلس الحكم الانتقالى ومصداقيته، ورأى فيها البعض تراجعًا عن مساحة الحرية التى كانت ممنوحة لوسائل الإعلام فى عهد صدام، خاصة وأن المجلس حذر من أن كل وسائل الإعلام ستخضع لمراقبة دقيقة للتحقق من أنها تحترم القواعد، والقرار لم يلق أى اعتراض رسمى من قبل القوى الغربية التى كانت تبشر بعودة الحرية للعراقيين.

ووصف التحالف الذى تقوده الولايات المتحدة فى العراق هذه القواعد بأنها تضع حدودًا طبيعية لحرية الصحافة فى بلد يسوده التمرد. وتتميز العلاقات بين مختلف الطوائف العرقية والدينية بالحساسية.

وجاءت هذه القواعد بعد شهور من مرسوم أصدره الحاكم المدنى الأمريكى للعراق بول بريمر فى يونيو ٢٠٠٣ يحظر التحريض على العنف أو إشاعة الفتن الطائفية؛ لكنه لم يتم تفصيله بالمقاس على وسائل الإعلام مثلما حددت قواعد شهر نوفمبر التالى. لكنه لقى استهجانًا من وسائل الإعلام الغربية العاملة فى العراق التى لم تكن مقصودة به فى الأساس.

وقال روبرت فيسك مراسل صحيفة "اندبندنت" البريطانية فى بغداد "فى كل مرة

تواجه فيها الحكومة مشكلة يوجه اللوم إلى الصحفيين". وأضاف فى مقابلة مع وكالة الصحافة الفرنسية (أ ف ب) "إنهم يصبون جام غضبهم على الصحفيين.. التيار الكهربائى لا يعمل أكثر من بضع ساعات والمجلس غاضب لكن على الصحفيين.. فالمشكلة فى هذه التعليمات أنه يمكن أن تنطبق على كل شىء". أما زميله من صحيفة "لوس أنجليس تايمز" جون دانيزيفسكى فرأى أن "تغطية ما تبقى من البعث مهم لكنه لا يعنى الدعوة إلى عودة صدام حسين، فمن المهم أن يتمكن الصحفيون من العمل بدون عراقيل. وإذا كان البعث سيظهر فمن المهم أن يعرف الناس ذلك".

وبدوره أعرب زميلهما جيروم بونى الذى يعمل للقناة الثانية الفرنسية عن عدم ارتياحه للوضع الجديد مع إصرار المجلس على إلزام وسائل الإعلام بإبلاغ السلطات عن عمليات المقاومة ضد قوات الاحتلال. وقال: "إذا استطعت إجراء مقابلة مع صدام حسين سأفعل ذلك فالجميع يريدون الاستماع إليه".

ويبدو لمن يقرأ القواعد الجديدة للعمل الصحفى ويجهد للالتزام بها أن الصحفى سيتحول إلى مجرد مخبر أو مرشد للسلطات العراقية والأمريكية وأنه لن يجد فى نهاية الأمر سوى تغطية الأنشطة الرسمية لمجلس الحكم الانتقالى، فقد يتعرض المراسل للمسائلة فى حال تغطيته أى هجوم على القوات الأمريكية أو الشرطة العراقية، ولم يكن بإمكان وسائل الإعلام الالتزام بهذه القواعد الغريبة التى تحد من حرية وسائل الإعلام على نقل ما يدور فى العراق بدرجة كبيرة. والقضاء على التوازن الذى يتعين أن تكون عليه التغطيات الإخبارية، وهو ما يعنى السقوط فى مستنقع الانحياز الكامل إلى جانب قوات الاحتلال والمجلس المؤقت بتجاهل عمليات المقاومة على الأرض التى شرعتها المواثيق الدولية بدعوى أنها عمليات إرهابية فى مجملها. وشمل الحظر بطبيعة الحال أركان النظام السابق وعلى رأسهم صدام حسين.

انفردت قناة العربية الإخبارية بإذاعة آخر خطابات الرئيس العراقى صدام حسين قبل اعتقاله فى ٢٠٠٣/١٢/١٣. فقد أذاعت القناة تسجيلاً صوتيًا للرئيس العراقى بمناسبة شهر رمضان فى ٢٠٠٣/١١/١٦ دعا فيه إلى قتال قوات الاحتلال حتى تحرير العراق. وطالب العراقيين بالانقلاب على مجلس الحكم الانتقالى الذى عينه الأمريكيون قائلاً "إن الذى تأتى به جيوش الأجنبى وتقرره إرادة الأجنبى ليس إرادة عراقية حرة، فهو إذن مثلهم. وإن مقاومته واجب شرعى ووطنى وإنسانى". أما باقى فقرات الخطاب فكانت على شاكلة خطابات سابقة تدعو العراقيين لتجاوز الخلافات العرقية والمذهبية وتوحيد الصفوف لتحرير العراق من القوات الأجنبية.

واختتمه بإشارة قومية معهودة تدعو لتحرير فلسطين... وفى نشراتها اللاحقة أذاعت العربية فقرات من الخطاب حذفت منها المقاطع التى يشتبه فى أنها تحرض على العنف كالمقطع الذى أوردناه من قبل. وأذاعت وسائل إعلام عديدة الخطاب.

وكغيره من الشرائط الصوتية المنسوبة لصدام قامت الاستخبارات الأمريكية بالتأكد من صحتها بمقارنتها بالصوت الأصلى لصدام فى خطابات سابقة.

وخرج وزير الدفاع الأمريكى دونالد رامسفيلد بعد ذلك بأيام إلى وسائل الإعلام كى يمارس هوايته فى مهاجمة القنوات التليفزيونية العربية خاصة الجزيرة والعربية وانتقدهما بشدة واتهمهما بالعمل ضد المصالح الأمريكية.

وبعد ذلك بثلاثة أيام قرر مجلس الحكم الانتقالى العراقى وقف قناة العربية عن العمل بتهمة التحريض على العنف بعد أن بثت الشريط الصوتى لصدام. وجاء قرار الوقف تطبيقاً للقواعد التى سنها مجلس الحكم من قبل.

والأمر الذى يدعو للسخرية أن قناة العربية نقلت على الهواء جزءاً من المؤتمر الصحفى الذى عقده الرئيس الدورى للمجلس جلال طالبانى. وقال طالبانى خلال المؤتمر الذى عقده فى ٢٠٠٣/١١/٢٤ "لقد قررنا منع العربية من العمل فى العراق لبعض الوقت لأنها بثت دعوة إلى القتل وتحريضاً على القتل باسم صدام حسين".

وبرر هذا القرار بأن التحريض على القتل ممنوع فى كل بلدان العالم وأكد ضمان حرية التعبير فى العراق رغم ذلك. ويبدو أن طالبانى الذى كان محتداً قد ذهب إلى مدى أبعد من ذلك عندما كشف عن أن المجلس الانتقالى سيرفع قضية ضد قناة العربية أمام المحاكم العراقية. وشكل هذا التهديد سابقة لم يشهدها العراق خلال حكم صدام حسين ضد أى قناة تليفزيونية. وبعد انتهاء طالبانى من مؤتمره الصحفى سارعت الشرطة العراقية إلى مكتب قناة العربية فى حى المنصور ببغداد وصادرت أجهزة الاتصالات التى تعمل بالأقمار الصناعية لمنع المكتب من بث أى مواد لقناة العربية وقناة إم. بى. سى. فى مقرهما بدبى.

وطالبت السلطات العراقية العربية بتقديم تعهد مكتوب بعدم التحريض على العنف. الدهشة التى أصابت العاملين فى المكتب والغضب دفعهم للاحتجاج على القرار الذى وصفوه بأنه يمثل اعتداءً على حرية الصحافة فى العراق. وذكر على الخطيب مراسل العربية بأن العراقيين ظلوا فى أمسّ الحاجة إلى تلك الحرية طيلة السنوات الخمس والثلاثين الماضية. وقال "إن هذا العمل يدل على عدم وجود فرق بين زمن صدام وهذه الأيام".

غير أن الأمر الذى يثير الكثير من الأسئلة هو أن على الخطيب توفى فى ٢٠٠٤/٣/١٨ إثر إطلاق نار على مركبته بالقرب من إحدى نقاط التفتيش الأمريكية فى بغداد، وقتل معه أيضًا على عبد العزيز مصور القناة فى نفس الحادث. واعترفت القوات الأمريكية ضمنيًا بقتلهما إثر إطلاق النار على المركبة التى كانت تحمل علامات تشير بوضوح إلى أنها صحافة وتابعة لقناة العربية.

وفى مقر القناة فى دبى كانت الإدارة تحاول معالجة القضية بثبات واتزان وأصدرت بيانًا رفضت فيه الاتهامات وأكدت أنها "التزمت ولا تزال فى تغطيتها الإخبارية سياسة محايدة وموضوعية ترتكز إلى الدقة والأمانة فى نقل وجهات النظر المختلفة إزاء الحدث... إننا نؤمن بأن الإعلام هو أولاً وأخيرًا ناقل للحدث وليس صانعًا له وأن علاج العنف إن وجد فى هذا البلد أو ذاك يجب أن يتم بعلاج أسبابه وليس بمعاقبة وسائل الإعلام".

وعن تهمة بث الشريط الصوتى للرئيس العراقى المخلوع قالت المحطة فى بيانها "إن وكالات الأنباء الدولية وقنوات تليفزيونية عديدة أذاعته كاملاً وأن قناة العربية حذفت منه فى نشراتها اللاحقة كل ما يمكن أن يكون فيه شبهة تحريض على العنف".

وزير الدفاع الأمريكى دونالد رامسفيلد الذى هاجم العربية والجزيرة بشدة قبل ثلاثة أيام من إغلاق مكاتب العربية فى بغداد عاد بعد ذلك بيوم ليكرر هجومه ويقول فى مؤتمر صحفى: إن قناة العربية وقناة الجزيرة الفضائية تعاونتا فيما يبدو مع المقاومة العراقية. وتابع قائلاً: "قلت وكان ذلك دقيقًا إن هاتين القناتين وجدتا نفسيهما من حين لآخر على مقربة من أشياء تحدث ضد قوات التحالف قبل وقوع الحدث أو أثنائه. فهناك أحداث كثيرة تقع فى البلاد وهناك عدد محدود نسبيًا من العاملين فيهما. فكيف يحدث ذلك... هذا ما سيظهر بمرور الوقت". قرار إغلاق مكاتب العربية فى بغداد ووجه بانتقادات حادة من الجمعيات الصحفية على المستوى الدولى. فقد شجبه الاتحاد الدولى للصحفيين وقال إيدان وايت أمين عام الاتحاد: "إنه يخدم مصالح أعداء الديمقراطية بفرض نوع من الرقابة الذى كان يميز نظام صدام حسين الكريه".

وطالبت منظمة الدفاع عن حرية الصحافة "مراسلون بلا حدود" بإعادة فتح المكتب قائلة "إن وسيلة الإعلام وهى تبث رسالة منسوبة إلى صدام حسين يدعو فيها إلى القتل على أساس أنها نبأ، ليست مسئولة بنفسها عن التحريض على القتل... وأنه لا يحق للسلطات العراقية الجديدة إرغام وسيلة إعلامية على تغيير خط صياغتها الصحافية باستخدام القوة".

وانتقد الكثير من الإعلاميين العرب والأجانب خلال لقاءات مع قناة العربية اتجاه السلطات العراقية إلى تكميم وسائل الإعلام ووجهت انتقادات مماثلة من وسائل إعلام عربية ودولية بعدما ظهر أن الانتقادات الأمريكية والعراقية توجه فقط لقناتي الجزيرة والعربية، أثار جوناثان بيكر الصحفي فى هيئة الإذاعة البريطانية اتهامات بالتمييز ضد القنوات العربية التى تتهمها واشنطن بالانحياز لصدام على اعتبار أن معظم القنوات التليفزيونية أذاعت الشريط المنسوب لصدام نقلاً عن قناة العربية ولم يتخذ ضدها أى إجراء وقال "أذعنا هذه المواد باعتبارها شرائط منسوبة لصدام كما فعلنا مع شرائط بن لادن. ويبدو أن مجلس الحكم حدد قنوات بعينها لمعاقبتها على ما تفعله كل القنوات".

دوائر مغلقة

استعانت قنوات إخبارية أمريكية بمحللين عسكريين من جنرالات متقاعدين يدينون بالولاء لجنرالات البنتاغون الذين كانوا يرشحون الأسماء لمحطات إخبارية مثل فوكس نيوز.. وكانت تعليقاتهم في غاية الانحياز . وندرت الاستعانة بجنرالات معارضين للحرب.

ويسير معهم في هذا الاتجاه مقدمو البرامج الإخبارية خاصةً في قناة مثل فوكس نيوز، ومثال على ذلك:

في الرابع والعشرين من مارس كانت الأنباء القادمة من ساحة الحرب توحي ببطء التقدم الأمريكي على الأرض وربما وقف الزحف باتجاه بغداد وأيضًا إسقاط مروحية أمريكية.

في برنامج "تقرير خاص مع برت هيوم" "Special Report with Brit Hume"

كان هيوم يقدم كل ليلة على مدى ساعة تلخيصًا لمجريات الحرب من منظور قناة فوكس نيوز، وفي تلك الليلة (٢٠٠٣/٣/٢٤) حاول هيوم تبديد الشكوك حول مدى التقدم الأمريكي ولإضفاء مصداقية على ذلك استضاف جنرال القوات الجوية المتقاعد طوماس ماكينيرني Thomas McInerney .

وأشار المذيع في بداية برنامجه إلى ما نشرته صحيفة واشنطن بوست في ذلك اليوم بإعلانها أن الخسائر التي وقعت في صفوف الأمريكيين (قتلى وأسرى) قد أثارت الشكوك حول الاستراتيجية العسكرية. وبادر المذيع الجنرال الضيف المتحفز للدفاع عن تلك الاستراتيجية..

what about this Strategy? Is it time for it to be changed? And if not, why not?

ماذا عن تلك الاستراتيجية؟ هل حان الوقت لتغييرها؟ وإذا لم يكن، لماذا لا؟

السؤال أفسح المجال للجنرال المتقاعد لامتداح الاستراتيجية قائلاً: "إنها استراتيجية رائعة أعدت بطريقة غاية في الجمال ويتم تنفيذها حاليًا بطريقة غير عادية.. ففرقة

المشاة الثالثة قطعت مسافة تساوى تلك التى بين نورماندى وبلجيكا وهذه تعتبر سابقة فى تاريخ الحروب حتى چورچ باتون(*) كان سيبدى فخرًا غير عادى بهذا.

ويقاطعه المذيع قائلاً "حسنًا انتظر دقيقة، لكننا قطعنا المسافة من نورماندى إلى بلجيكا من قبل ما هو المميز فى هذا؟".

ويرد الجنرال: "الاختلاف هنا هو أننا قطعنا هذه المسافة وهى ستمائة كيلو متر فى العراق فى أربعة أيام ولكن تلك المسافة قطعت فى ثلاثة أشهر. والحقيقة أنه لم يطلق صاروخ سكود واحد على إسرائيل أو الكويت. ولم تسقط لنا طائرة مقاتلة. كما أنهم لم يقوموا (العراقيين) بطلعة جوية واحدة ضدنا وخسائرنا قليلة للغاية وهذا إنجاز غير عادى بأى مقياس. لا تغيروا الاستراتيجية. ولكن فقط استمروا فى تنفيذها".

لم يذكر المذيع أو الضيف أى شىء عن سلبيات تلك الاستراتيجية أو خطوط الإمداد التى أصبحت طويلة (٦٠٠ كم) داخل الأراضى العراقية واستهدافها من قبل القوات العراقية غير النظامية أو المدن التى اضطر الأمريكيون الالتفاف حولها. أو عن ادعاءات سابقة بتحقيق انتصار سريع واحتلال مدن وإبادة فرق عراقية..

لم يذكر المذيع شيئًا عما أورده فى تلخيصه لأحداث اليوم وهو موضوع إسقاط مروحية أمريكية والعيوب التى ظهرت فى المروحيات من طراز أباتشى، التى أتلفت العديد منها نيران الأسلحة العراقية الصغيرة.. لم تكن هناك إشارة إلى الأسرى الأمريكيين.. واكتفى الطرفان بكيل من المديح لمخططى وزارة الدفاع الأمريكية فى وقت كان فيه العديد من تلك القيادات تتنصل من الخطة وتقارير تشير إلى إفساد وزير الدفاع رامسفيلد لها بتدخلاته المستمرة..

(*) جنرال أمريكى شهير شارك فى الحرب العالمية الثانية وزحف فى عمق أوروبا.

استهداف الصحفيين

يدعو ستيوارت هاغز Stuart Hughes وهو منتج أخبار في قناة بي. بي. سي. المؤسسات الإعلامية إلى الاعتراف بالمخاطر التي قد يتعرض لها المراسلون الحربيون خلال الحروب والإقرار بإمكانية سقوط عدد منهم في الحرب مثل العسكريين تماماً. ودعوة الصحفي البريطاني تنبع من تجربة خاصة فقد أصيب إصابة بالغة من جراء سلسلة انفجارات وقعت بالقرب من كركوك بشمال العراق. وأدى ذلك إلى بتر ساقه. وقتل أثناء تلك الانفجارات مصور مرافق له يدعى كافي غوليستان Kaveh Golestan وهو يعمل في بي. بي. سي. أيضاً. ورجح أن تكون تلك الألغام قد تركت منذ الحرب العراقية الإيرانية (حرب الخليج الأولى) في الثمانينيات.

وأكد هاغز هذه المخاطر في مقابلة مع صحيفة الغارديان Guardian ٢٠٠٣/٥/٢٠ "عندما يذهب الجيش إلى القتال، يقولون إن بعض الناس لن يعودوا. أعتقد أنه من الصعب بالنسبة للمؤسسات الإخبارية أن تقر بنفس الشيء غير أنه سيكون ضرورياً على المدى الطويل. ربما أنهم قد نسوا أجواء الخطر التي تكون عليها تلك الأماكن. إن عليها أن تواجه حقيقة أن المراسلين المستقلين يمكن أن يصابوا أو يقتلوا.

ضحايا الحرب من الصحفيين

صحفيون قُتلوا في العراق:

- تاراس بروتسيك Taras Protsyuk

وهو مصور يعمل لصالح وكالة رويترز للأنباء منذ عام ١٩٩٣ وغطى صراعات مثل أفغانستان والبوسنة والشيشان وكوسوفو، وقتل خلال القصف الذي تعرض له فندق فلسطين بقلب بغداد من جانب دبابة أمريكية (٨ أبريل ٢٠٠٣).

- جوس كويس Jose Couse

وهو مصور يعمل لشبكة تليسينكو Telecinco الإسبانية وراح ضحية القصف الذي تعرض له فندق فلسطين.

- طارق أيوب Tareq Ayyoub

مراسل قناة الجزيرة الذي قُتل خلال قصف تعرض له مكتب القناة في بغداد يوم ٨/٤/٢٠٠٣.

- كامران عبد الرازق محمد Kamaran Abdelulrazeg Muhamed.

وكان يعمل مترجمًا لهيئة الإذاعة البريطانية بي. بي. سي. وقُتل في حادث "نيران صديقة"، حيث قصفت الطائرات الأمريكية صحفيّ البي. بي. سي. أثناء تغطيتهم العمليات العسكرية.

- كافيه جلوستان Kaveh Golestan.

مصور حر كان يعمل مع بي. بي. سي. في شمال العراق وقتل خلال الأيام الأولى للحرب لدى انفجار ألغام أرضية خارج مدينة كركوك. ويرجح أن تكون الألغام من مخلفات الحرب العراقية الإيرانية.

- بول موران Paul Moran.

صحفي حر كان يعمل في شمال العراق وهو أسترالي الجنسية وقُتل خلال الأيام الأولى للحرب.

- تيري لويد Terry Lloyd

قُتل في ٢٢/٣/٢٠٠٣ بنيران يعتقد أنها صديقة.

غير أن بعض الصحفيين سقط خلال الحرب على العراق من جراء حوادث مختلفة مثل:

- مايكل كيلي Michael Kelly

الذي قُتل في حادث سيارة جيب. وكان أحد كُتَّاب الأعمدة بصحيفة واشنطن بوست.

- ديفيد بلوم David Bloom.

الذي قُتل في انسداد شريان رئوي.

- جابي رادو Gaby Rado

وجد قتيلاً في فندق بشمال العراق، ويعتقد أنه سقط من فوق سطحه.

هذه المحصلة تقتصر على الصحفيين الذين سقطوا خلال العمليات الرئيسية فقط.

خسائر الصحفيين فى حروب سابقة:

ربما لا تكون حرب الخليج الثالثة قد أوقعت عددًا كبيرًا من المراسلين الصحفيين مقارنة بحروب سابقة فى عقد التسعينيات من القرن الماضى. غير أن هذا العدد يعتبر مرتفعًا جدًا بالنسبة للفترة الزمنية الصغيرة التى وقعت فيها الحرب مقارنة بحروب أهلية فى البوسنة ورواندا. ولعل المزعج فى الأمر هو أن أغلب الصحفيين الذين سقطوا فى حروب سابقة كانوا من أبناء الإقليم الذى شهد الحرب، على العكس مما حدث فى العراق. فحسب إحصاء للاتحاد الدولى للصحفيين فقد قتل ٢٧٤ صحفيًا خلال الحروب منذ عام ١٩٩٠، وكان جلهم قد سقطوا فى حروب شهدتها بلدانهم.

على سبيل المثال:

- ٦٢ مراسلاً صحفيًا قُتلوا فى الصراع فى البوسنة معظمهم من أبناء يوغوسلافيا السابقة.
- ٢٣ مراسلاً صحفيًا قُتلوا فى حرب كوسوفو عام ١٩٩٩، منهم ١٦ كانوا من الصرب و٣ صينيين وألمانيان واثنان لم تُعرف جنسيتهما.
- ٤ مراسلين صحفيين قُتلوا فى حرب الخليج الثانية ١٩٩١، بينهم ثلاثة كانوا يعملون لهيئة الإذاعة البريطانية والرابع كان مصورًا ألمانيًا.
- ٩ من العاملين فى مجال الإعلام قُتلوا خلال حرب أفغانستان (٢٠٠١ – ٢٠٠٢).
- ٢٧ مراسل صحفى قتلوا فى حرب الشيشان.

غير أن أكثر الصحفيين الذين قُتلوا وثارت حوله ضجة كبيرة كان الصحفى دانيال بيرل من صحيفة وول ستريت جورنال الأمريكية، وقُتل فى باكستان خلال عام ٢٠٠٢.

اعتبرت منظمة "صحفيون بلا حدود" أن الحرب فى العراق مثلت مخاطر للمراسلين الصحفيين أكثر من تلك التى تعرض لها الجنود. وطالبت القوات الأمريكية والبريطانية أن توضح الأسباب التى دعت إلى قيام القوات الأمريكية بإطلاق النار على الصحفيين فى بغداد خلال الحرب.

وقالت فى بيان "إنه على الرغم من الطلبات المتكررة من منظمة صحفيين بلا حدود، فإن البنتاغون ووزارة الدفاع البريطانية لم يقدما تفسيرات مقنعة لتلك الحوادث التى قد ترتقى إلى جرائم حرب.

وكانت القوات الأمريكية قد ذكرت.. ادعت فى البداية أن جنودها أطلقوا النار

على فندق فلسطين ببغداد ردًا على نيران قناصة معادية. لكن الصحفيين الذين كانوا بالفندق، والذى كان يعد مقرًا للصحفيين والمراسلين أكدوا أنهم لم يسمعوا أى إطلاق نار من"الفندق."

أذاعت قناة C. B. S. تقريرًا لمراسلها فى فيتنام مورلى سافر Morely Safer قال فيه إنه يرى ما تراه الكاميرا (وقائع العمليات العسكرية) وكان التقرير يتناول قصة قرية أقدم جنود المارينز على إحراقها بقداحاتهم فى عام ١٩٦٥، تدخل الرئيس الأمريكى ليندن جونسون بنفسه لدى المسئول عن المحطة ليتهم المراسل بأنه شيوعى وضد أمريكا.

ويروى دافيد هاليبرستام Halber stam الواقعة فى كتابه "The Powers That Be" اتصل الرئيس جونسون برئيس C.B.S فرانك ستانتون Frank Stanton ليوقظه فى الصباح الباكر وهو مهتاج: Frank' are you trying to Fuck me?

فقال فرانك والنوم ما زال فى عينيه: من المتحدث؟!

- "فرانك، هذا هو رئيسك، أولادك حاولوا أمس تلويث العلم الأمريكى. كيف يمكن لسى. بى إس أن توظف شيوعيًا مثل سافر؟ كيف يمكن لهم أن يتخلوا عن وطنيتهم ويذيعوا فيلمًا معاديًا مثل هذا؟".

كان جرم المراسل الذى يحمل الجنسية الكندية هو أنه قدم شيئًا من الحرب الحقيقية.

مراسل حربى عربى:

فى مقابل المراسل الحربى الغربى نجد أن المراسل العربى فى ميدان القتال لا يتحلى بالكثير أو لنقل بالقدر الكافى من الثقافة العسكرية. ولم تجهد القنوات العربية نفسها بدون استثناء فى تدريب وتعليم وتأهيل مراسليها لهذه المهمة.

ومن مجرد متابعة تغطيات الفضائيات العربية لمجريات الحرب على العراق لا يمكن لنا أن ندرج أسماءً على الإطلاق تحت بند مراسل عربى محترف مثل الأمريكى آندى رونى، الذى طار خلال عمليات قصف ضد أهداف ألمانية فى الحرب العالمية الثانية وبات يملك خبرة فى مجاله تمتد لنصف قرن أو زميله فى محطة C. B. S الأمريكية مورلى سيفر الذى عمل مراسلاً حربيًا خلال حرب فيتنام وبعدها.

وقد يرجع ذلك فى جانب منه إلى أن مهنة المراسل الحربى للصحافة المرئية هى أكثر حداثة بكثير بالنسبة لمهنة المراسل الحربى للصحافة المكتوبة. وقد أخفقت الفضائيات العربية فى تجنيد قدامى المراسلين الحربيين الذين خاضوا الكثير من الحروب العربية الإسرائيلية فى خلفية المشهد..

وبالإمكان ترتيب الصحفيين أو المراسلين الحربيين فى القنوات الفضائية العربية إلى ثلاث فئات رئيسية.

(أ) مراسلون حربيون يملكون خبرة متواضعة اكتسبوها من تغطيات الحرب الأمريكية على أفغانستان وتمرس هؤلاء من خلال تلك الحرب خاصة بعد دخول القوات الأمريكية الأراضى الأفغانية على اللقاءات الحية على الهواء.. ويعد من أبرز هؤلاء مراسل قناة الجزيرة تيسير علونى الذى كان محاصرًا مع قوات طالبان، والذى ازدادت شهرته بعد احتجازه فى إسبانيا على خلفية ارتباطه بتنظيم القاعدة.. مع دخول القوات الأمريكية أفغانستان دخل معها عدد لا بأس به من مراسلى القنوات العربية من دول الجوار وتحملوا بالطبع مخاطر جمة فى ظل الفوضى التى سادت بعد سقوط طالبان.

وكان لعدد محدود جدًا فرصة تغطية الحرب فى البلقان (حرب كوسوفو) والهجمات الجوية على الأراضى الصربية؛ لكن تلك التغطيات انحصرت فى معظمها فى تغطية تدفق اللاجئين عبر الحدود مع مقدونيا وألبانيا والمساعدات الإنسانية.

(ب) مراسلون يملكون خبرة فى تغطية الأحداث وطاروا إلى العديد من دول العالم وهم يتحلون بحسن البديهة والحنكة والتصرف، وفى لقاءات الهواء كانوا يسترسلون مع مذيع الأستوديو فى مقر المحطة الذى كان لأحيان كثيرة يحاول أن يستنطقهم أو يستدرجهم للحديث وربما لتكرار ما قالوه فى أول اللقاء لملء الفراغ فى أحيان كثيرة.. وهؤلاء لا يملكون خلفية عن مجريات الحروب وأنواع الأسلحة، وربما لا يدرك بعضهم الفرق بين الطائرة النفاثة المقاتلة أو القاذفة أو تلك الاعتراضية.

وهذا النوع من المراسلين إذا ما زار موقعًا على سبيل المثال لقصف سابق فى بغداد قد يردد كالببغاء ما سمعه من شهود العيان بأن يقول "علمنا" أو أن يبدأ بالسرد على أنها وقائع كأن يقول "تعرض الموقع للقصف الجوى بقنابل عنقودية أدت إلى مقتل العشرات"، بينما نرى فى التقرير السابق للمقابلة أو الخبر صورًا لحفرة كبيرة ودمار أحدثه سقوط صاروخ توماهوك كروز أطلق من الخليج أو البحر الأحمر فى وقت لم تشاهد فيه أى طائرات تحلق فى سماء بغداد.

(جـ) مراسلون تمت الاستعانة بهم للمرة الأولى فى مهمات نظرًا لاتساع مساحة التغطية من تركيا إلى إيران والكويت والأردن وسوريا فى بعض الأحيان فى المناطق الحدودية. ويملك هؤلاء ثقافة عامة بدون خبرة فى تغطيات الهواء؛ ويسعى الكثير منهم للشهرة ويتم المصادقة على مهام بعضهم بعد طرق أبواب المسئولين لعدة

مرات... وظهر من بينهم خلال الحرب على الهواء نواة لمراسلين جيدين.

(د) اضطرت المحطات العربية أيضًا للاستعانة بمراسليها فى العواصم العربية والمحلية الذين يتميزون كثيرًا بمعلوماتهم المتدفقة عن بلدانهم ولكن الكثير منهم سقط فى تلك التغطيات، وبدا فى بعض الأحيان فاقد التركيز متوترًا، وقد يجيب بنعم أو لا.. ويعاب على العديد منهم الاستعانة باللهجة المحلية، وعدم التمكن من اللغة العربية والافتقار إلى الثقافة العسكرية. وربما لو تم توظيفهم لإعداد تقارير وتحقيقات غير آنية لا تدور حول مجريات الحرب اليومية ولكن عن خلفياتها مثل جوانب إنسانية أو اجتماعية لنجحوا فى ذلك، وتمكنوا من إخفاء خلفياتهم الثقافية والسياسية التى برمجوا عليها فى عواصمهم.

والأمثلة كثيرة على ذلك؛ فمراسل لقناة أبو ظبى كان يغطى أحداث الحرب من الكويت قبل دخوله العراق مع قوات التحالف وعندما أتى على ذكر الجانب العراقى اصطبغ بصبغة الأرض التى يقف عليها (الكويت)، ولم يتحر الحياد أو حتى الموضوعية، وقال: "النظام العراقى الذى أكل الدهر عليه وشرب"، وكان الإعلام الكويتى على طول الخط يصف الحكومة العراقية بالنظام العراقى.

مراسل لقناة العربية تندر عليه زملاؤه عندما كان على الهواء مباشرة يصف آخر التطورات. وكان الضباب كثيفًا ومدى الرؤية لعدة أمتار، قال المراسل: إنه يرى طائرات حربية أمريكية من طراز بى اثنين وخمسين تقصف أهدافًا عراقية بقنابل زنة الواحدة منها عشرة أطنان.

ولا ندرى كيف شاهد المراسل تلك الطائرة من خلال الضباب أو عرف زنة تلك المقذوفات، ولا كيف ضخم فى حجمها بهذه الدرجة المهولة؛ ربما ليزيد من أهميته وأهمية تغطياته.

ومثال آخر لمراسل قناة L. B. C. اللبنانية المنوعة التى تحولت لقناة إخبارية خلال الحرب، وهو يصف ما يشاهده بلهجة محلية بطريقة توحى بأنه فى الجنوب اللبنانى يغطى آثار قصف إسرائيلى للمنطقة.

ومن شاهد قناة النيل للأخبار لمرات متكررة لشد انتباهه تمامًا الخلفية التى وراء المراسل لدى وقوفه فى نهاية التقرير للحديث أمام الكاميرا "Piece to Camera" خلفية ثابتة، وإن تغيرت مجريات ومواقع الحرب.

وعلى الرغم من أن معظم الفضائيات العربية قرأت خريطة منطقة القتال ووزعت مراسليها بطريقة جيدة على أماكن مختلفة إلا أنها لم تتمكن من معرفة الإمكانات

الحقيقية للبعض منهم، وربما حاول بعض مذيعيها دون أن يدروا إرباكهم وإظهار البعض على أنه لا يدرى ما يدور حوله، ففى أثناء اللقاء يأتى خبر عاجل حول تعرض منطقة قريبة من المراسل للقصف ويسأل المذيع المراسل حول هذا القصف فالخبر أوردته وكالات الأنباء، بينما المراسل منهمك فى إعداد نفسه للمقابلة أو أثنائها.

وخطأ آخر يقع فيه المذيعون ومنتجو نشرات الأخبار عند توجيه أسئلة تحليلية للمراسل وتحويله إلى محلل سياسى أو خبير عسكرى كان يمكن استضافته، وتكرر ذلك كثيرًا فى برامج الهواء التى كانت تغطى الحرب. وغفل كثيرون عن أن المراسل هو مجرد وسيط لنقل خبر، والحديث عما يراه أو نقل إليه وتقديم معلومات وليس آراء خاصة.

لكن هذه الحرب كانت فرصة جيدة لتفريخ جيل جديد من المراسلين الحربيين شريطة أن يتحلوا بالثقافة العسكرية حول أنواع الأسلحة والمعدات والعتاد والذخائر وقدراتها التدميرية؛ وأن يتم توعيتهم بمصيدة الدعاية والتغرير بهم وتحويلهم إلى بوق لهذا الطرف أو ذاك، فكلمات مثل "على حد قوله" أو على "حسب تعبيره" لا تنم عن حيادية المراسل.

التضـــليل

حملة تضليل أمريكية

كانت وسائل الإعلام مستأنسة وطيعة فى يد القوات الأمريكية التى تزعمت قوات التحالف الدولى لطرد القوات العراقية من الكويت فى بداية عام واحد وتسعين وتسعمائة وألف، وذلك خلال حرب "عاصفة الصحراء". فقد كان يتم استقاء المعلومات عن كيفية سير العمليات العسكرية من مركز اللقاءات الصحفية فى السعودية من قائد تلك العمليات وهو الجنرال نورمان شوراسكوف.. وعلى الهامش كان هناك ضابط سعودى يعطى التفاصيل وهو أحمد الربعى.

كان الأمريكيون يعرضون كل ما يرغبون فى ذكره ويهملون ما لم يكن فى صالح سير المعارك.. وكانت الصور المقدمة تظهر مدى الدقة التى يتم بها قصف الأهداف العراقية المتنوعة وكان جزء كبير منها أهداف اقتصادية من مصانع ومستودعات وطرق وجسور، لكن الصورة التى كانت تقدمها وزارة الدفاع الأمريكية هى فى معظمها لحظائر طائرات يتم استهدافها جوًا ومراكز سيطرة عسكرية. وعلى محور متواز ومتناغم كانت شبكة سى. إن. إن الإخبارية تقدم تفاصيل أخرى لما يدور، أى تقوم بتكبير الصورة وإبراز التفاصيل بعد إضفاء بعض الرتوش فى تقاريرها..

إلا أنها لم تعرض صور الضحايا العراقيين عن كثب، على الرغم من أنها وللحقيقة تخلت عن ذلك غير مرة وصورت بعضًا من الأماكن المدنية التى استهدفها القصف فى بغداد..

وفرضت الولايات المتحدة رقابة عسكرية على المعلومات وأدى ذلك إلى عدم قدرة وسائل الإعلام على نقل الصورة كاملة..

فلم يعلن الأمريكيون عن أرقام رسمية للقتلى من الجانب العراقى وترك ذلك نهبًا للتكهنات وقدر عدد القتلى من العسكريين العراقيين ما بين خمسين ألفًا ومائة ألف. وتكرر الأمر مع المدنيين العراقيين فى ظل غياب أرقام رسمية أمريكية وجاءت التقديرات بأن ثلاثة عشر ألف مدنى عراقى قتلوا نتيجة للعمليات العسكرية المباشرة،

وحوالى سبعين ألف مدنى عراقى قُتلوا نتيجة لتداعيات الحرب فضلاً عن الضرر الكبير الذى لحق بالمرافق الصحية والمرافق الأخرى كالكهرباء والاتصالات وغيرها.

كان كل شىء بالنسبة للقيادة الأمريكية تحت السيطرة، أما فى الحرب الأخيرة فقد أدركت أن الأمور قد تفلت من زمامها وتنقلب وبالاً عليها. فالرأى العام العالمى مؤلب ضد الحرب والمظاهرات الاحتجاجية التى قطعت شوارع مدن العالم الرئيسية قبل الحرب كانت بمثابة صداع كبير لوزارة الدفاع الأمريكية البنتاغون، التى يخشى صقورها من انقلاب الرأى العام الأمريكى عليهم، ومن ثم تكرار المأساة الفيتنامية.

الأمور إذن كانت مختلفة تمامًا، فأوروبا باستثناء بريطانيا وإسبانيا وإيطاليا باتت تقف ضد الحرب؛ ولذا وصفها وزير الدفاع الأمريكى دونالد رامسفيلد أو نعتها بأوروبا القديمة... كان الوضع يقتضى العمل بحرص وجهد كبير لإبعاد وسائل الإعلام عن ساحة الحرب، أو بالأحرى تلك التى تعارض الحرب من بدايتها، أو على الأقل عرقلة محاولاتها للوصول إلى الحقيقة بوجهها الذى لا يرضى الأمريكيين.

غير أن وسائل الإعلام التى كانت مستأنسة وطيعة فى حرب الخليج الثانية بسبب تحكم الأمريكيين فى مصادر الأخبار وتوجيهها بدت فى الحرب الثالثة متمردة وعصية على الاقتياد . فالطفرة التكنولوجية الهائلة ودخول لاعبين عرب الساحة وحتى تنافس القنوات الأمريكية جعل الوضع أكثر صعوبة.

فأفل نجم قناة سى. إن. إن وسطعت فى سماء الإعلام نجوم مثل فوكس نيوز المدعومة من البنتاغون. وقنوات عربية أخرى.

مركز السيلية:

كان هناك أكثر من سبعمائة صحفى معتمد فى العاصمة القطرية الدوحة يتردد الكثير منهم على المركز الإعلامى، الذى أقيم فى قاعدة السيلية العسكرية الأمريكية على بعد أمتار من مركز قيادة القوات الأمريكية التى تدير الحرب على العراق.. توافد الصحفيون على قطر اعتقادًا منهم أن المركز سيكون مصدرًا تتدفق منه المعلومات عن سير العمليات العسكرية وساحة لإجراء اللقاءات مع القادة الأمريكيين.. لكن الصحفيين والمراسلين أدركوا بعد يومين من بدء الحرب دون حصولهم على الأخبار المهمة أنهم ربما يكونوا قد وقعوا فريسة لحملة تضليل أمريكية تهدف لإبعادهم عن ساحة المعركة.. ولم تكن لدى جيم ويلكنسن المسئول عن

المركز الإعلامى وهو متحدث باسم لجنة الجمهوريين الوطنية بالكونغرس إجابة شافية لذلك، ويعكس هذا الإحباط تساؤل للصحفى السويسرى ويليام هنرز "إن لم تكن هذه التقنيات الإعلامية الضخمة على بعد مائتى متر من القيادة المركزية الأمريكية هى فى الواقع عملية إيهام كبرى وقع فيها الصحفيون معتقدين بأن مركز السيلية هو المركز الرئيسى، فى الوقت الذى يجد هؤلاء أنفسهم مضطرين لنقل أخبارهم عن المحطات الأمريكية التى تحصل على معلوماتها من مصادر أخرى فى ساحة الحرب".

كان مشهد الحافلة الأمريكية التابعة لمحطة سى. إن. إن يثير حنق الصحفيين عندما يسمح لها بالدخول إلى القاعدة. اتجه الصحفيون إلى ست شاشات معلقة على جدار المركز لاستقاء المعلومات من الشبكات الأمريكية على اعتبار أن جلهم لا يجيد العربية ولا يمكنه متابعة قنوات إخبارية عربية. خيم الصمت على المتحدثين الأمريكيين فى الأيام الثلاثة الأولى للحرب؛ ربما بسبب الارتباك والتشوش بين القيادات العسكرية التى وجدت أن عليها الإعداد لحربين متوازيين إحداهما فى ميادين القتال والأخرى فى الميدان الإعلامى الذى لا تمتلك خبرة طيبة فى مجاله. تخلى الجنرال تومى فرانكس الذى يدير العملية العسكرية عن صمته فى اليوم الثالث لإنقاذ الموقف أو ربما لإقناع الصحفيين المتململين بأن للمركز الصحفى جدوى.

ودار حديث عن حدوث تصدعات فى التحالف الإعلامى البريطانى الأمريكى ودلل على ذلك قيام البريطانيين والأستراليين بإجراء أحاديث مقتضبة مع صحفييهم – صحفىّ ومراسلى بلديهما – وأمام هذا الارتباك قرر المتحدث البريطانى "ماكس وود" التمرد وكسر حاجز الصمت وتحديد موعد لإيجاز صحفي؛ إلا أنه تم إلغاؤه تحت ضغط أمريكى.

حاول الصحفيون والمراسلون انتشال أنفسهم من هذه البطالة بإجراء أحاديث وإعداد تقارير عن آراء زملائهم فى مجريات الحرب وتغطياتها، وانهمك آخرون فى نشر النكتات السياسية حول العراقيين والأوروبيين الرافضين للحرب إلى أن ظهر البريغادير جنرال – العميد – "فنسينت بروكس" فى المؤتمر الصحفى اليومى.

حاول الأمريكيون اختيار الوجه الذى سيتحدث عن حرب يرفضها الشارع العربى بدقة كبيرة. ويوحى بذلك مظهر بروكس بوجهه الداكن وشعره المجعد حتى إنه لو مشى فى شوارع إحدى المدن العربية لما اكتشف أحد أنه أمريكى. إلا أن البنتاغون لم يمد عميده بالمعلومات التى تشفى نهم الصحفيين. فهو يتحدث عما يريد فى بيانه

الصحفى ويترك القليل للرد على أسئلة رجال الإعلام حول سير العمليات فى العراق.

بدأ بروكس غير مقنع لرجال الإعلام أو حتى المشاهدين الذين تسمروا أمام شاشات التلفاز عبر العالم. حاول بروكس الاستعانة بصور فوتوغرافية.. ومقاطع فيديو لعمليات عسكرية تظهر تفوق قوات التحالف البريطانى الأمريكى وتركز على دقة التصويب خلال القصف الجوى. لم يتمكن الرجل من تقديم إحصاءات دقيقة عن عدد القتلى العراقيين أو أماكن القيادات العراقية واكتفى بسرد ما يسمح القادة العسكريون بتمريره إليه..

تعرض بروكس لظلم بين أو ربما لسوء حظ لدى مقارنته بنظيره على الجانب الآخر محمد سعيد الصحّاف، الذى كان يملك كاريزما ويصول ويجول أمام كاميرات التليفزيون التى تنقل إلى جميع أنحاء العالم على الهواء تصريحاته المنتقة بألفاظ تاريخية وتعبيرات عنترية ومعلومات مغلوطة.

بدا وزير الإعلام العراقى واثقًا من تصريحاته قوى الشكيمة إلى أن قصف الأمريكيون مقر وزارته فى بغداد عشية الاستيلاء على بغداد. أما بروكس فربما كان واقعيًا لا يحسن تغليف كلماته بالمحسنات اللفظية ولا يملك الجرأة لتوضيح معالم الصورة كما يراها مثلما فعل الصحّاف..

احتج الكثير من المراسلين والصحفيين على شح المعلومات وأعربوا عن إحباطهم وحتى العديد من الصحفيين الأمريكيين أنفسهم عانوا من هذا الأمر. وعبر عن ذلك الصحفى "مايكل وولف" من مجلة نيويورك لدى احتجاجه لبروكس فى أحد المؤتمرات الصحفية اليومية فى السيلية بقطر ودافع بروكس بقوله: "إن اللقاءات الصحفية فى الدوحة تقدم قدرًا من المعلومات بالإضافة إلى تلك التى يحصل عليها الصحفيون فى العراق، والتى تصدر عن وزارة الدفاع الأمريكية". وأضاف: "إذا كنت تبحث عن الصورة كاملة فيجب عليك أن تحضر إلى هنا" لكن ذلك القول لم يكن مقنعًا للعديد من الصحفيين الذين حزموا أمتعتهم للرحيل إلى مناطق أكثر قربًا فى الكويت وتركيا إلى أن خاطروا ودخلوا مناطق العمليات بالعراق، حيث يوجد زملاء سبقوهم.

علل بعض الصحفيين الارتباك الذى ساد مركز السيلية الصحفى فى الأيام الأولى للحرب بوجود تصدع أو ربما انهيار للتحالف الإعلامى بين الأمريكيين والبريطانيين ومن خلفهم الأستراليين. فالملاحظ للتغطية الإعلامية يجد أن الأمريكيين يتحدثون فى الغالب عن قواتهم وإن كانوا يميلون إلى الحديث بصيغة الجمع "قوات التحالف". ومال البريطانيون إلى الحديث عن النشاطات العسكرية لقواتهم التى كانت تعمل فى مناطق

جنوب العراق وتطوق البصرة منذ بداية الحرب. ولم يكن هناك ناطق رسمى واحد يتحدث عن قوات التحالف وظهر متحدث عسكري أمريكى وآخر بريطانى ثم أسترالى.

إلا أن البعض التمس العذر للقائمين على إدارة المركز الإعلامى على اعتبار أن كل قومية تتعاطف مع أبناء جلدتها. وقال لوران يوسى مراسل القناة الثانية للتليفزيون الفرنسى لإحدى الصحف: "إن هذا الأمر إنسانى وطبيعى.. لذلك ترى الجنود الأمريكيين يمزحون مع الصحفيين الأمريكيين وليس مع اليابانيين أو غيرهم".

وأرجع بعض المحللين وخبراء الإعلام الصمت الذى خيم على المركز الإعلامى فى قطر خلال الأيام الأولى للحرب إلى ما سمى بالصمت التكتيكى فى حرب تحتل فيها الماكينة الإعلامية الدعائية الأولوية.

وربما سعى الأمريكيون إلى فرض نوع من الخداع والتعتيم بإبعاد المئات من الصحفيين والمراسلين الذين قدموا من مختلف أنحاء العالم إلى منطقة بعيدة عن سير العمليات، ولذلك جاءت قطر وليس الكويت القريبة من سير العمليات العسكرية. وربما خشى الأمريكيون من هجر الصحفيين للمركز والانطلاق وراء القوات المتقدمة لاكتشاف الحقائق على أرض الواقع.

وسائل إعلام فى الشرك

فى الأسبوع الأول للحرب على العراق ظهرت كمية كبيرة من الأكاذيب التى ابتدعتها الولايات المتحدة وبريطانيا فى إطار الحرب الدعائية للتأثير على معنويات العراقيين والإسراع بهزيمتهم. وعددت صحفية "ديللى ميرور" البريطانية ثلاثة عشرة قصة بنيت على التضليل والإيهام. مثل الادعاء بإطلاق صواريخ سكاد عراقية واكتشاف مصنع كيماوى حربى وتحرير مدينة "أم قصر" والانتفاضة الشعبية فى البصرة ضد القوات الحكومية، وغيرها من القصص التى تناقلتها وسائل الإعلام ونسجت على منوالها الكثير من الاستنتاجات حول سير العمليات العسكرية فى جنوب العراق.

لم يكن التضليل والكذب قاصرًا على طرف بعينه، فقد تورط العسكريون البريطانيون فى ذلك أو بالأحرى ورطوا وسائل إعلام كبرى مثل هيئة الإذاعة البريطانية..

- فى يوم الأحد ٢٠٠٣/٣/٢٣ خرجت هيئة الإذاعة البريطانية بعنوان رئيسى لنشرة تليفزيون بى. بى. سى، يقول: إن مصادر عسكرية بريطانية أعلنت أنه تم الاستيلاء على ميناء أم قصر فى جنوب العراق حيث توجد القوات البريطانية. ولكن بعد ثلاثة أيام اتضح لمسئولى بى. بى. سى أن القتال ما زال مستمرًا فى تلك المنطقة وأن المقاومة كانت شديدة.

ونقلت قناة أبو ظبى تلك المعارك على الهواء. فى ذلك اليوم. وكنت أنا من قام بتلك المهمة فى استوديو الهواء كما سأعرض لاحقًا.

- أعادت هيئة الإذاعة البريطانية الكرَّة ثانية ووقعت فى نفس الخطأ بعد ذلك، عندما أعلنت نقلاً عن مسئولين عسكريين أنه تم العثور على مصنع للأسلحة الكيماوية فى النجف، لكنها عادت وسحبت الخبر.
- ٢٠٠٣/٣/٢٥ قالت إن انتفاضة شعبية بدأت فى البصرة ثانى أكبر المدن العراقية التى كانت القوات البريطانية تحاول الاستيلاء عليها. وكانت هذه الأنباء روجت فى البداية من قبل عسكريين بريطانيين؛ لكن تبين فيما بعد أنها غير صادقة.
- ٢٠٠٣/٣/٢٦ وقعت المحطة ضحية أنباء كاذبة تقول إن ١٢٠ دبابة عراقية رصدت

وهى تغادر مدينة البصرة. وتبين فيما بعد أن عدد تلك الدبابات لا يتجاوز أصابع اليدين.

وأمام هذه المعلومات المضللة اضطر المسئولون عن هيئة الإذاعة البريطانية إلى عقد اجتماع لمناقشة سبل عدم الوقوع فى فخ الأخبار المضللة وغير الدقيقة وحسب صحيفة الغارديان البريطانية؛ فإن التقارير المضللة كان مصدرها القوات البريطانية والأمريكية على حد سواء، وأن عرض ذلك قد أضر بسمعة هيئة الإذاعة البريطانية التى تدعى أنها تغطى الحرب بطريقة غير منحازة.

وإذا كان تليفزيون هيئة الإذاعة البريطانية قد حاول بعد ذلك تحرى الدقة فإن محطات تليفزيونية أخرى تعرضت لهزات كبيرة بسبب قيامها بتضليل مشاهديها. ومثال ذلك فضيحة شبكة التليفزيون البريطانية "سكاى نيوز".

فقد أذاعت الشبكة يوم ٢٠٠٣/٣/٢١ تقريراً يصور الاستعدادات التى كانت تقوم بها الغواصة النووية البريطانية "إتش إم إس سبلنديد" لإطلاق صاروخ عابر على هدف عراقى خلال الحرب على العراق. وظهرت الغواصة النووية كما لو كانت تخوض عمليات حربية فعلية.

لكن صحيفة الغارديان البريطانية كشفت فيما بعد الفضيحة، وهى أن عملية التصوير تمت خلال تدريبات على إطلاق صاروخ توما هوك فى أحد المرافئ. ونقلت الصحيفة عن متحدث باسم البحرية الملكية البريطانية أن "وزارة الدفاع البريطانية عرضت على فريق مشترك من بى. بى. سى وسكاى نيوز فرصة لتصوير الاستعدادات لإطلاق الصاروخ. وأكد للصحيفة فريق تابع لهيئة الإذاعة البريطانية أنه صور الغواصة نفسها فى الوقت نفسه وهى راسية فى الميناء البريطانى وليس قرب منطقة الخليج.

وأمام هذا أجرت الشبكة تحقيقاً فى الحادث وتم إيقاف أحد صحفيى الشبكة ومنتجاً للأخبار عن العمل.

فى لقاء خلال برنامج(*) أذيع فى محطة سى. إن. بى. سى التليفزيونية الأمريكية فى شهر أغسطس التالى للحرب على العراق اعترفت كبيرة مراسلى شبكة سى. إن. إن الإخبارية كريستيان أمانبور بالقيود التى فرضتها الإدارة الأمريكية على وسائل الإعلام الأمريكية خلال الحرب. قائلة: "أعتقد أنه تم تكميم الصحافة The press was muzzled وأعتقد أنها كممت نفسها بنفسها، آسفة لقول هذا، ولكن بالقطع التليفزيون ولحد معين محطتى تعرضت للتخويف من قبل الإدارة ومن ساروا على خطاها

(*) Topic A With Tina Brown on CNBC.

فى فوكس نيوز. تم هذا فى الواقع من خلال تهيئة مناخ من الخوف والرقابة الذاتية".

عادت مقدمة البرنامج تينا براون تسألها عما إذا كانت هناك قصة لم تتمكن من الحديث عنها (إذاعتها) خلال الحرب.. فقالت أمانبور: إنها ليست مسألة عدم التمكن من عمل هذا إنها مسألة الأسلوب (النغمة Tone).. إنها مسألة أن تكون دقيقًا. إنها فى الحقيقة مسألة طرح الأسئلة الحقيقية. كل الهيئة السياسية فى نظرى ما إذا كانت الإدارة أو الاستخبارات أو الصحفيين، بالرغم من ذلك لم يطرحوا أسئلة كافية، على سبيل المثال حول موضوع أسلحة الدمار الشامل، أعنى أن هذا بدا كما لو كان نقصًا فى المعلومات على أعلى المستويات".

وكان تعليق المتحدثة باسم فوكس نيوز إيرينا بريغانتى Irena Briganti على حديث أمانبور وكانت إحدى ضيوف البرنامج "مُنحنا الخيار، ومن الأفضل أن نُرى على أننا نمضى فى ركب بوش على أن أكون متحدثة باسم القاعدة".

يرى بعض خبراء الإعلام أن الجانب العراقى بدوره حاول تضليل رجل الشارع العربى وساعدته فى ذلك قنوات تليفزيونية عربية ربطت بين القضية الفلسطينية والحرب على العراق، خاصةً وأن الجانب العراقى عمد إلى ذلك من خلال بعض التسميات مثل جيش القدس الذى قيل إن صدام قام بتدريب سبعة ملايين عراقى من أجل القدس ليداعب بذلك خيال المتلقى العربى. إلى جانب ذلك جاءت تسمية فدائيو صدام التى أطلقت على القوات غير النظامية التى تصدت للقوات الأمريكية والبريطانية الغازية فى غياب القوات النظامية، ويعلق على ذلك مأمون فندى الذى يدرس الإعلام والعلوم السياسية بجامعة چورچ تاون الأمريكية قائلاً:

"النموذج الفلسطينى كان مفيدًا من نواح أخرى، وخصوصًا فى الإشارة إلى القوى المتحاربة: فالأمريكيون فى الجزيرة وفى غيرها من محطات التلفزة العربية هم قوة الاحتلال كالاحتلال الإسرائيلى، والقوات العراقية هى قوة المقاومة، كالمقاومة الفلسطينية. ويلاحظ هنا أن تليفزيون الجزيرة وتليفزيون أبو ظبى قد عرضا مشاهد لنعوش عراقيين قتلى يتم عرضها عبر الشوارع فى حين تهتف الجموع الله أكبر كما يحدث فى الانتفاضة الفلسطينية"(*).

ويتهم د. ريتشارد فيرلام خبير الإعلام الدولى فى هولندا بعضًا من وسائل الإعلام الغربية بممارسة التضليل ربما بطريقة غير متعمدة. وقال إن بعضًا من وسائل الإعلام

(*) مقال "من أين جاءت الجزيرة وشركاؤها" مأمون فندى – صحيفة الاتحاد الإماراتية.

بدون شك قامت بأدوار غير نظيفة في الحرب فمنها من قام بتأجيل نقل المعلومات أو عمد إلى إخفائها نهائيًا، وربما يكون البعض القليل قام بالتضليل المباشر(*).

مدير عام هيئة الإذاعة البريطانية حمل بشدة على أداء محطة فوكس الأمريكية للأخبار خلال الحرب على العراق. وقال غريغ ديك Greg Dyke في ندوة صحفية عقدت بعد الحرب في كلية غولد سميث بجامعة لندن: "يتعين علينا ألا نسمح إطلاقًا للتأثيرات السياسية بتلوين أخبارنا أو بالتعتيم على حكمنا. إن الضغوط الإعلانية قد تغوي الآخرين باتباع نهج فوكس نيوز في التحمس للوطنية، ولكن بالنسبة إلى بي. بي. سي فإن هذه المعادلة ستشكل خطأ مريعًا. وإذا فقدنا بمرور الوقت ثقة المشاهدين فإذًا لن يكون هناك ذكر لنا".

(*) Iraq media dossier, Radio Neitherlands.

تضليل المراسلين

مارس عدد من مراسلى الفضائيات العربية نوعًا من التضليل والخداع، البعض منهم لجأ إلى ارتداء الخوذة العسكرية كغطاء للرأس وارتدى السترة الزرقاء الداكنة الواقية من الرصاص مدعيًا أنه فى منطقة خطرة يطلق فيها الرصاص دون مؤشرات تدل فى الخلفية على ذلك للتأكيد على أهمية وخطورة ما ينقله على الهواء..

ولوحظ فى بعض الأحيان سذاجة مراسلين وهم يصفون أجواء الحرب الخطرة؛ وفى الخلفية يظهر من بعيد عراقيون يمضون إلى حال سبيلهم وأطفال يلهون فى حين نجد المراسل وقد ارتدى الخوذة والسترة دون أى مبرر.

وفى بعض الأحيان يقوم المراسل ببعض الحركات التى توحى بأنه يقف فى منطقة يتم فيها تبادل إطلاق الرصاص كأن يخفض رأسه وجسده لدى سماعه صوت إطلاق نار، بينما يكون واقفًا خلف جنود أمريكيين فى بغداد وإذا طلب منه المذيع تحريك الكاميرا يمينًا أو شمالاً لاكتشفنا أن المراسل إما ممثل أو جبان. وفى بعض الأحيان يشارك الجنود فى اللعبة بإطلاق نيران أسلحتهم فى الهواء.

وعلى العكس من ذلك يظهر بعض الضيوف شجاعة ورباطة جأش يحسدون عليها أمثال وزير الإعلام العراقى محمد سعيد الصحّاف، عندما كان ضيفًا على الهواء على شاشة قناة أبو ظبى فى إحدى الليالى السابقة لسقوط بغداد وبينما كان الوزير يتحدث دوى صوت انفجار كبير بسبب سقوط صاروخ توماهوك أمريكى بالقرب منه، لم يهرب الوزير ولم ينحن كما يفعل جميع المراسلين، لكنه بذكاء أدار دفة الحديث مع المذيع مشيرًا إلى سقوط الصاروخ، وقال: "شوفوا أيشلون نصطادهم مثل العصافير" مشيرًا بذلك إلى إسقاط الدفاع الجوى العراقى للصاروخ.

لكن فى الوقت نفسه الوزير كان يمارس نوعًا من التضليل لأنه لم يتحر ما إذا كان قد تم إسقاط الصاروخ أو أنه أصاب هدفه، خاصةً وأن الأمريكيين قد تمكنوا فى ذلك الوقت المتقدم قبيل دخول بغداد من إخراس وسائل الدفاع الجوى حول العاصمة وداخلها.. ولم يعلق المراسل أو مذيع الأستوديو أو يعقب على الوزير.

ويتندر صحفيون في قناة العربية على زميل لهم أُوفد إلى العراق لتغطية مجريات الحرب هناك. ففي لقاء معه على الهواء وبينما كانت السماء ملبدة بالغيوم والضباب كثيف قال إنه يرى طائرات بي ٥٢ وهي تسقط قنابل زنة عشرة أطنان.. وفات المراسل أن بي ٥٢ تحلق على ارتفاعات شاهقة وأنه لا توجد قنبلة تزن عشرة أطنان، وأن القاذفات الأمريكية والبريطانية كانت تهاجم ليلاً في معظم الأوقات ومن الصعب بمكان تحديد نوعها إلا لو كانت تحلق على ارتفاعات منخفضة.

كما حاول بعض المراسلين الذين يفترض فيهم الحياد ونقل المعلومة أي ما تراه أعينهم وليس التعبير عن وجهات نظرهم الخاصة.. فمنهم مراسل لقناة أبو ظبي كان في الكويت في بدايات الحرب، ويبدو أنه تأثر بوسائل الإعلام الكويتية أو أنه تعاطف مع الكويتيين فراح يقول: "النظام العراقي الذي أكل عليه الدهر وشرب"، وذلك في تعليقه على مجريات الحرب.

وربط آخرون وجهات نظرهم الخاصة انطلاقًا من خلفيتهم التاريخية ومجريات الحرب كالإشارة إلى الغزو المغولي لبغداد عاصمة الخلافة العباسية والغزو الأنجلوأمريكي لها. وفي هذا يقول الإعلامي مأمون فندي "عندما يقوم مراسل الجزيرة من بغداد بعرض صور لقصف طائرات التحالف لبغداد، مشيرًا إليها على أنها القلب النابض للخلافة الإسلامية، أو القلب النابض المحاصر بألسنة اللهب. إن ما يبدو هنا وكأنه خطب جوفاء وخطرفات من قبل صدام حسين قد يبدو كلامًا متماسكًا بالنسبة لأناس لا يأبهون بطريقته في ربط صور متفرقة أو تاريخية بالأحداث المعاصرة"(*).

مثال للتضليل الذي أقدمت عليه وسائل الإعلام الغربية وسقطت في فخه قنوات إخبارية، هو إشاعة أن العراق أقدم على طرد المفتشين الدوليين من أراضيه في عام ١٩٩٨. لكنه لم يتم طرد المفتشين في واقع الأمر، لكن الولايات المتحدة هي التي طلبت سحبهم من أجل بدء الضربات الجوية التي تعرض لها العراق آنذاك.. روجت وسائل إعلام أمريكية أخرى أن العراق لم يكن يتعاون مع المفتشين بطريقة ملائمة وهو ما أفضى للإقدام على سحبهم من هناك. ذكر هذا على الرغم من إذاعة العديد من التقارير التي أكدت وجود عملاء لوكالة الاستخبارات الأمريكية بين المفتشين. وصدرت تقارير متضاربة من وسائل الإعلام الغربية حول طرد أو سحب المفتشين الدوليين.

ذكرت تقارير إخبارية غربية في عام ١٩٩٨ أن عملاء الاستخبارات الأمريكية كانوا من بين المفتشين الدوليين. وتم الإقرار بحدوثه في وسائل الإعلام الأمريكية والشبكات الإخبارية.. غير أن تلك الشبكات عادت فيما بعد وذكرت أن تلك مزاعم عراقية.

(*) مقال "من أين جاءت الجزيرة وشركاؤها" مأمون فندي — صحيفة الاتحاد الإماراتية.

كذبة بوش:

اشترك الرئيس الأمريكي جورج بوش بنفسه في الحرب الدعائية لدرجة أنه ادعى أشياء لا أساس لها من الصحة وقامت على أساس الخلط، ففي ٢٠٠٢/٩/٧ أعلن بوش في منتجع كامب دايفيد أن الوكالة الدولية للطاقة النووية أقرت بأن العراق قد بات بإمكانه إنتاج سلاح (نووي) بعد ستة أشهر.. وتساءل بوش "لا أدري ما هو الدليل الأكثر الذي نحتاجه"..

وكشفت الوكالة زيف ادعاء بوش الذي كان يحاول جاهدًا كسب الرأي العام العالمي وبوجه خاص الأوروبي لشن الحرب على العراق.

وقالت: إن تقريرًا لها قال إن العراق كان يفصله عن امتلاك القدرة النووية ما بين ستة أشهر وعامين، وذلك قبل حرب الخليج عام ١٩٩١". ولإخراج بوش من هذا المأزق قالت صحيفة واشنطن بوست إن البيت الأبيض أكد أن تصريحات بوش كانت غير دقيقة بسبب زلة لسان؛ لأنه نسب تصريحه لتقرير للوكالة الدولية للطاقة النووية ولكن الصحيح أن التقرير يرجع للاستخبارات الأمريكية.

أما صحيفة واشنطن تايمز فقد تناولت القصة بطريقة أخرى قائلة إن البيت الأبيض قال إن بوش كان يشير إلى تقرير أصدرته الوكالة الدولية للطاقة الذرية في عام ١٩٩١. وقال المتحدث باسم البيت الأبيض سكوت ماكليلان: "إنه كان يوجد في عام ١٩٩١ تقرير يقول إنه تبين لديهم (الوكالة) بعد الحرب أنه كان يفصلهم عن ذلك ستة أشهر.

"In 91, there was a report Saying that after the war they found out they were about six months away" Press Secretary Scott McClellan.

والذي ينظر لتصريح ماكليلان يرى أنه يستخدم النكرة والتعميم (تقرير لديهم – يفصلهم – عن ذلك) لكن الوكالة الدولية للطاقة الذرية عادت من جديد لتكذب المتحدث الأمريكي قائلة على لسان كبير المتحدثين باسمها غوزديكي (Gwozdecky): "إن الوكالة لم تصدر أي تقرير بهذا الشأن في عام ١٩٩١".

وعلى عهدة صحيفة واشنطن بوست فإن التقرير نشر في عام ١٩٩٨ لدى ظهور مشكلة المفتشين الدوليين والعراق.

كذبة بلير:

فى كتاب "أكذب على: الدعاية والتشويه الإعلامى فى حرب العراق" يقدم محرر الكتاب ديفيد ميلر رصدًا دقيقًا لكيفية تسويق ما سماه "الكذبة الكبرى"، وهى تلك التى كانت تقول إن العراق يمتلك أسلحة دمار شامل (WMD) وبإمكانه أن يضعها قيد الاستعمال فى غضون ٤٥ دقيقة فى حالة تلقى أوامر بذلك.

"ready within 45 minutes of an order to use them".

ويقول إن هذا الزعم ردده تونى بلير ومن بعده الرئيس الأمريكى جورج بوش ولم يخضع لمساءلة حقيقية من وسائل الإعلام التى رددته كأنه بمثابة حقيقة محضة فى ٢٠٠٢/٩/٢٤، بل إن عناوين الأخبار فى القنوات التليفزيونية البريطانية خرجت فى ذلك اليوم تقول "خمس وأربعون دقيقة تفصلنا عن الهجوم" ورددت صحف مثل الدايلى إكسبرس "Daily Express" هذا الزعم وعرضته على أنه حقيقة وخرجت بعنوان رئيسى يقول: "صدام قادر على الضرب خلال خمس وأربعين دقيقة".

وردد بلير وأركان حكومته هذا الزعم أمام البرلمان البريطانى باعتباره واحدًا من مسوغات شن الحرب على العراق. وتم التأكيد عليه فى أكثر من مناسبة لإقناع الشعب البريطانى لشن حرب رفض مجلس الأمن والمجتمع الدولى إقرارها.

ويفند ميلر فى كتابه تلك الكذبة الكبرى مشيرًا إلى أنها ذكرت لأول مرة فى .Iraq's Weapons of Mass Destruction: The Assessment of British Government

وهو تقرير حكومى صدر فى سبتمبر ٢٠٠٢ واستقى معلوماته من تقارير للأمم المتحدة والمنشق العراقى حسين كامل صهر الرئيس العراقى صدام حسين، وأيضًا من تقارير استخباراتية أشارت إلى إمكانية استخدام أسلحة الدمار الشامل العراقية خلال خمس وأربعين دقيقة بصواريخ بالستيه طويلة المدى.

لكن الحقيقة أن العراق لم يعد يمتلك تلك الصواريخ بحسب الاستخبارات نفسها. وأن تقارير الاستخبارات البريطانية حسب جون سكارليت من لجنة الاستخبارات المشتركة John Scarlett قالت: إن قذائف صاروخية ميدانية "battle Field mortar shells" يمكن تحضيرها للانطلاق فى غضون خمس وأربعين دقيقة وليس صواريخ بالستيه.

وبالطبع حسب ميلر فإن بلير كان يدرك ذلك تمامًا بوصفه رئيسًا للوزراء يطلع على تقارير الاستخبارات.

وقد بنيت هذه الكذبة على ثلاثة أباطيل أو أكاذيب صغرى: الأولى هى وجود هذه المكونات (ذرية – بيولوجية – كيماوية) فى صورة أسلحة. والثانية هى الوسيلة التى يمكن بها استعمال هذه الأسلحة (الصواريخ طويلة المدى). والثالثة هى الفترة الزمنية (٤٥ دقيقة)، التى يتم خلالها إعداد وإطلاق أسلحة دمار شامل عراقية على أهدافها..

وبالطبع بعد أن وضعت الحرب أوزارها وتم احتلال كامل الأراضى العراقية لم يجد البريطانيون أو الأمريكيون أى دليل يؤيد هذا الزعم على مدار أكثر من عام بعد الاحتلال.

كذبة مشتركة:

قال الرئيس الأمريكى چورچ بوش فى خطاب عن حالة الاتحاد فى يناير ٢٠٠٣ إن العراق حاول شراء اليورانيوم من دولة إفريقية (النيجر) قائلاً: إنها دليل على أن صدام كان يحاول تطوير أسلحة نووية. وعشية شن الحرب على العراق ردد وزير الخارجية الأمريكى كولين باول هذا الزعم أمام مجلس الأمن، وكذبه فى تلك الجلسة المدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية ورئيس لجنة التفتيش على أسلحة الدمار الشامل العراقية مؤكدين أن هذه المزاعم لا أساس لها، لكن واشنطن التى كانت تسعى لحشد التأييد المحلى والدولى لغزو العراق أصرت على التمسك بالادعاء.

ورددت وسائل الإعلام العالمية ذلك الزعم على اعتبار أنه حقيقة (خاصة الأمريكية) تارة، وعلى أنه قابل للتشكيك تارة أخرى؛ إلا أنه اتخذ كذريعة لغزو العراق.

وبعد الاحتلال طفى ذلك الزعم من جديد على السطح داخل وخارج الولايات المتحدة.. واضطر مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية چورچ تينيت إلى الإقرار بأن هذا الزعم كاذب. واعترف تينيت بأنه لم يكن أبداً يتعين إدراج هذا الزعم فى نص خطاب الرئيس بوش.

واعترف البيت الأبيض بأنه لم يكن ينبغى وضع هذا الاتهام فى الخطاب لأن الوثائق التى استند إليها ثبت أنها مزورة. وبدوره أقر تينيت بأن هذا الزعم ورد فى تقرير للمخابرات البريطانية.

غير أن وزير الخارجية البريطانى چاك سترو دافع عن تلك المزاعم قائلاً: إن ذلك الزعم كان قائماً على معلومات مخابرات موثوق فيها لم يجر تقاسمها مع الولايات المتحدة.

إلا أن الغريب فى الأمر هو أن وسائل الإعلام لم تتوقف طويلاً أمام هذا الزعم قبل

اعتراف تينيت والتضحية به ككبش فداء عبر تقديمه استقالته لإغلاق الملف توطئة لإسقاط ورقة من يد الديمقراطيين يمكن استخدامها فى الحملات الانتخابية للرئاسة الأمريكية فى نهاية عام ألفين وأربعة ضد الرئيس الجمهورى جورج بوش، الذى كان يسعى للفوز بفترة رئاسة ثانية ونجح فى ذلك وحصل على ولاية ثانية.

ولم تتوقف وسائل الإعلام كثيرًا أمام تصريحات السفير الأمريكى السابق جوزيف ويلسون الذى خلص إلى أن إدارة بوش حرفت بعض معلومات المخابرات لتبرير الحرب. وكشف أنه اطلع على تقرير حول محاولات عراقية مزعومة لشراء اليورانيوم من النيجر. ويعتبر ويلسون أحد أبطال هذه القصة، فقد ذكر أن رجل أعمال اتصل به فى عام ١٩٩٩ لمناقشة ما اعتقد أنه صفقة يورانيوم بين العراق والنيجر. لكن تبين أن ذلك الزعم غير صحيح.

قصة مزيفة

تلهث وسائل الإعلام المرئية فى غمار سباقها المحموم وراء القصص الإخبارية التى تشد المشاهدين وتتسابق فى عرضها فى أسرع وقت، وقد يؤدى ذلك إلى تحريف تلك القصص أو حتى اختلاقها وتقدم لجمهور المشاهدين على أنها قصة حقيقية وقعت بالفعل، ولا تختلف فى ذلك القنوات الإخبارية العربية عن الغربية أو حتى وكالات الأنباء التى من المفترض أن تتحرى الدقة فى الصياغة على الأقل فضلاً عن التثبت من المصدر.

وتلك إحدى القصص التى مورس فيها الخداع بدرجة كبيرة وتمكن بطلها من خداع وسائل الإعلام المتعطشة إلى الأخبار الواردة من العراق وبوجه خاص مسلسل اختطاف وذبح الرهائن فى عام ٢٠٠٤.

ففى يوم السبت السابع من أغسطس ٢٠٠٤ كانت نوبة عملى فى قناة "العربية الإخبارية" – التى انتقلت للعمل بها بعد انتهاء الحرب على العراق قادمًا من قناة أبو ظبى – تبدأ فى منتصف النهار. وكنت قد بدأت فى قراءة الأخبار التى أذيعت من قبل وتصفح وكالات الأنباء لتهيئة نفسى لإعداد نشرات أخبار قادمة لم يستوقفنى كثيرًا خبر أذيع فى نشرة سابقة كالتالى:

Ali Al Nowaigi (Al Arabiya Producer) ... [MBC]MBCNEWS.1000.RUNORDER.HOSTAGE 18 - 1

Pres

Pres

عرض موقع على الانترنت شريط فيديو لاعدام امريكي في العراق

*CG still214

[SS]

بحد السيف على يد جماعة الزرقاوي. وحث الرهينة الامريكي

[B I V]

ويدعى بنجامين فورد من سان فرانسيسكو بولاية كاليفورنيا قبيل اعدامه القوات الامريكية على مغادرة العراق والا واجهت الموت

- عرض موقع على الإنترنت شريط فيديو لإعدام أمريكى فى العراق بحد السيف على يد جماعة الزرقاوى. وحث الرهينة الأمريكى ويدعى بنجامين فورد من سان فرانسيسكو بولاية كاليفورنيا قبيل إعدامه القنوات الأمريكية على مغادرة العراق وإلا واجهت الموت. (انتهى).

Ali Al Nowaigi (Al Arabiya Producer) ... [MBC]MBCNEWS.1000.RUNORDER.ZARQAWI 16 - 1

Pres	
وكانت جماعة التوحيد والجهاد التابعة لابي مصعب الزرقاوي قد حذرت في بيان على شبكة الانترنت بقتل رئيس الوزراء العراقي اياد علاوي كما اصدرت الجماعة اسطوانة مدمجة تحث المسلمين على محاربة من سموهم الصليبيين في العراق، وتهدد بقتل وزير الداخلية.	CG info* الاوضاع الامنية في العراق جماعة الزرقاوي تهدد علاوي ووزير داخليته بالقتل Pres
LVO	LVO
الاسطوانة مدتها خمس واربعون دقيقة حصلت عليها وكالة الاسوشيتدبرس للانباء وتحمل عنوان رياح النصر كما تتضمن صورا لبعض التفجيرات التي قامت بها الجماعة ضد القوات الامريكية وبعض الاهداف الاخرى في العراق	LSC: DURATION:

صيغ الخبر على أنه حقيقة محضة. ولم يستوقفنى كثيرًا. ففى الشهور الأربعة السابقة قتل عشرة على الأقل من الرهائن بحد السيف ونُشرت صورهم على موقع إسلامى للإنترنت أو أُرسلت لقناتى العربية والجزيرة. كما أنه حسب وكالات الأنباء كان يوجد نحو عشرين رهينة قيد الاحتجاز فى العراق، فضلاً عن عشرات الرهائن الذين أطلق سراحهم.

لكن الذى استوقفنى بالفعل هو الخبر الذى أوردته وكالة الصحافة الفرنسية (أ. ف. ب) نقلاً عن قناة العربية وكان يقول:

Ali Al Nowaigi (Al Arabiya... [MBC]WIRES.ARABIC.ALL.١ العراق/الولايات المتحدة/رهينة

SLUG | ORIGINATE TIME | FROM | DURATION | STATUS

عاجل القاعدة تقتل رهينة اميركيا في العراق (العربية)

الدوحة ٧-٨ (ا ف ب) - قالت قناة «العربية» الفضائية التي عرضت اليوم السبت مقتطع من شريط فيديو ان الزعيم المفترض لتنظيم القاعدة في العراق، ابو مصعب الزرقاوي، قام بنفسه بذبح رهينة اميركي.

بور-خاي/ص ف/ ا ن ك ل

اف ب ٣٢٣٤٢ ٠٧١٠ جمت اغو ٠٤

Ali Al Nowaigi (Al Arabiya... [MBC]WIRES.ARABIC.ALL.١ العراق / الزرقاوي / مقدمة رابعة / اعدام

SLUG | ORIGINATE TIME | FROM | DURATION | STATUS

RES | 0:41

تقرير.. امريكي يقول ان شريط فيديو الاعدام خدعة
/ لاضافة تقرير اسوشيتيد برس ان الشريط خدعة/
من هبة القدسي
دبي ٧ اغسطس اب /رويترز/ - عرض موقع على الانترنت يستخدمه متشددون اسلاميون شريط فيديو يزعم اعدام رهينة امريكي بحد السيف اليوم السبت لكن نقل عن الرجل الذي ظهر في شريط الفيديو قوله ان الامر كان خدعة.
وقال بنجامين فاندرفورد من سان فرانسيسكو بولاية كاليفورنيا لوكالة اسوشيتيد برس انه زيف شريط الفيديو في منزل صديق .
يتبع أ ش /سوس/
REUTERS

6131 408070 GMT

- قالت قناة "العربية" الفضائية التى عرضت اليوم السبت مقاطع من شريط فيديو أن الزعيم المفترض لتنظيم القاعدة فى العراق، أبو مصعب الزرقاوى قام بنفسه بذبح رهينة أمريكى.

وقالت القناة التى تبث من دبى إن شريط الفيديو نُشر على موقع على الإنترنت وأن القتيل قدم نفسه بوصفه بنجامين فورد، من سان فرانسيسكو فى كاليفورنيا. وعرض الفيديو بلا صوت. وقالت المحطة إن بنجامين فورد دعا إلى ضرورة مغادرة الجنود الأمريكيين فورًا للعراق "وإلا فإنهم سيتعرضون للقتل". وكان الشاب يتحدث إلى الكاميرا. ولم تعرض صورة الرجل وهو يقتل، لكن الشريط عرض صور قتلى عراقيين.

ويلاحظ هنا حجم المغالطات فى الخبر الذى أوردته الوكالة، فالخبر الذى أوردته العربية قال: "جماعة الزرقاوى"، وقالت العربية وهى تعرف الجماعة فى خبر لاحق جماعة التوحيد والجهاد التابعة لأبى مصعب الزرقاوى.

لكن الوكالة الفرنسية نصبته زعيمًا مفترضًا لتنظيم القاعدة فى العراق. ونلاحظ أيضًا أن الوكالة نقلت عن العربية أن "أبو مصعب الزرقاوى قام بنفسه بذبح رهينة أمريكى".

لكن وكالة رويترز التى أذاعت القصة بادرت بنفسها إلى موقع الإنترنت وكأنها حقيقة مسلم بها:

Ali Al Nowaigi (Al Arabiya... [MBC]WIRES_ARABIC.ALL.١ العراق / الزرقاوي / مقدمة ثالثة / اعدام

SLUG ORIGINATE TIME FROM DURATION STATUS

RE1 4:21

موقع على الانترنت يعرض شريط فيديو لاعدام امريكي في العراق

/ لاضافة تفاصيل/

من هبة قنديل

دبي ٧ اغسطس اب /رويترز/ - قالت جماعة متشددة مرتبطة بابو مصعب الزرقاوي المتحالف مع تنظيم القاعدة باعدام رهينة امريكي في العراق بحد السيف ونشرت شريط فيديو لتنفيذ عملية الاعدام على موقع على الانترنت اليوم السبت.

وقال الرهينة الشاب الذي كان يرتدي قميصا لونه بيج وجالسا على مقعد //انا من سان فرانسيسكو .. كاليفورنيا .. نحتاج لمغادرة هذا البلد الان .. اذا لم نفعل .. سيقتل الجميع بهذا الاسلوب.//

واضاف الرجل الذي ظهر عليه الخوف الشديد وقد قيدت يداه خلف ظهره وهو يهز مقعده الى الامام والخلف //عرض استبدالي بسجناء هنا في العراق.//

واضاف //لابد ان نترك هذه البلاد وشأنها. علينا انهاء الاحتلال.// ثم اظهر شريط الفيديو يدا تمسك بسكين ضخم تقطع رقبة جسد مترهل.

ولم يتضح على الفور موعد تسجيل الشريط الذي يزعم انه من جماعة التوحيد والجهاد ولم يتضح ايضا المقصود بعرض الاستبدال بسجناء. ويستحيل ايضا التحقق من صحة الشريط.

وكشف الامريكي عن اسمه وعنوانه قبل ان ينشد الولايات المتحدة ان تغادر العراق.

ويبدو ان الاسم والعنوان ينطبقان على شخص يدعى بنجامين فاندرفورد له موقع على الانترنت ويشبه الرجل الذي ظهر في الفيديو. ويصف الموقع صاحبه بانه موسيقي وسياسي محلي طموح في الثانية والعشرين من العمر. وهو ايضا مبرمج العاب الفيديو.

- قامت جماعة متشددة مرتبطة بأبو مصعب الزرقاوى المتحالف مع تنظيم القاعدة بإعدام رهينة أمريكى بحد السيف ونشر شريط فيديو لتنفيذ عملية الإعدام على موقع على الإنترنت اليوم السبت.... "وقال الرهينة الشاب الذى كان يرتدى قميصًا لونه بيج وجالسًا على مقعد "اسمى بنجامين فوؤد.. أنا من سان فرانسيسكو كاليفورنيا.. نحتاج لمغادرة هذا البلد الآن.. إذا لم تفعل سيقتل الجميع بهذا الأسلوب، وعرض الفيديو بعد ذلك عملية إعدامه... وتمضى الوكالة فى عرض الموقف الأمريكى من عملية اختطاف الرهائن دون أى تعليق على ما ورد سابقًا..

ونلاحظ أن الوكالة ذكرت أن الزرقاوى متحالف مع تنظيم القاعدة وليس كما ذكرت الوكالة الفرنسية؛ غير أنها عرضت القصة دون أى تشكيك فيها على اعتبار أنها حقيقية. وتعاملت وسائل الإعلام الأخرى مع القصة بهذه الطريقة.

وكان من الممكن أن تمضى إلى حال سبيلها فى طابور القصص الإخبارية المتواصلة القادمة من العراق بوفرة.

لكنه على غرار القصص الإخبارية الأخرى فإن المتابعة ضرورية، وإذا كان من المستحيل الاتصال بجماعة الزرقاوى لتقديم المزيد من التفصيل فإنه من السهل بمكان البحث عن أسرة القتيل فى سان فرانسيسكو، أو من خلال البحث عن موقع له على الإنترنت بعد أن ذكر الأمريكى اسمه وعنوانه قبل أن يناشد الولايات المتحدة مغادرة العراق.

وظهر من خلال موقعه أن بنجامين موسيقى وسياسى محلى طموح فى الثانية والعشرين من العمر. وهو أيضًا مبرمج ألعاب فيديو..

وإزاء هذه المعلومات بدأت وكالة رويترز فى التراجع قليلاً عن موقفها السابق والتشكيك فى صحة الرواية، وقالت إنه يستحيل أيضًا التحقق من صحة الرواية وذلك فى خبر لاحق.

وكان الموقف فى قناة العربية أننا ظللنا نذيع الخبر السابق. لكن أثناء انغماسى فى العمل فى ظل الكم الكبير من الأخبار الواردة من العراق من خلال وكالات الأنباء ومراسلينا هناك؛ دق جرس جهاز الحاسب الآلى الذى أعمل عليه ليعلن ورود خبر عاجل:

تقرير... أمريكى يقول إن شريط فيديو الإعدام خدعة.

... رويترز

الأمريكى الذى ظهر بشريط فيديو يذبح.. هو حى – أمه

American Shown in Iraq beheading video alive - mother.

وظهر الخبر بصورة جديدة على وكالة رويترز: عرض موقع على الإنترنت يستخدمه إسلاميون شريط فيديو يزعم إعدام رهينة أمريكي بحد السيف اليوم السبت لكن نقل عن الرجل الذي ظهر في شريط الفيديو قوله: إن الأمر كان خدعة. وقال بنجامين فاندرفورد من سان فرانسيسكو بولاية كاليفورنيا لوكالة أسوشيتدبرس إنه زيف شريط الفيديو في منزل صديق. وسبق ذلك الخبر آخر عن والدة القتيل المفترض تكذيب للخبر، وقالت إن ذلك مجرد خدعة.

Ali Al... [MBC]WIRES.ENGLISH.ALL.IRAQ-ZARQAWI-BEHEADING (UPDATE 8, REPEAT 1

SLUG: IRAQ-ZARQAWI-BEHEADING (UPDATE 8, REPEAT | ORIGINATE TIME | FROM | DURATION | STATUS

496 (AFA CSA LBY RWSA RWS REULB GNS RNA SXNA) L07542427

IRAQ-ZARQAWI-BEHEADING (UPDATE 8, REPEAT) UPDATE 8-American shown in Iraq beheading video alive-mother (updates with mother's quotes, previous DUBAI)

By Adam Tanner

SAN FRANCISCO, Aug 7 (Reuters) - A video that appeared on a Web site used by Islamic militants purported to show the beheading of an American hostage on Saturday but the mother of the man shown in the video said it was a hoax.

"It's a hoax," Theresa Vanderford, mother of Ben Vanderford 22, said from her San Francisco area home. "He's very computer savvy and stuff."

A video appeared on a Web site on Saturday showing a man who identified himself as Benjamin Vanderford appealing to the United States to leave Iraq. The Web format was that used by al Qaeda ally Abu Musab al-Zarqawi and was introduced by a headline that said it showed Zarqawi killing an American.

"If we don't (leave Iraq), everyone is gonna be killed in this way ... I have been offered for exchange for prisoners here in Iraq," the terrified-looking man said, rocking back and forth in his chair, his hands tied behind his back.

The video then showed a hand with a large knife apparently slicing through the neck of a limp body.

Vanderford earlier told the Associated Press he staged the beheading using fake blood and began distributing the videotape on the Internet months ago. "It was part of a stunt, but no one noticed up until now," he said.

Vanderford's Web site identifies him as a 22-year-old independent candidate for district supervisor in San Francisco. He is also a musician and video-game programmer.

His political manifesto on the Web site addresses local issues such as tenants' rights, the homeless and government transparency, with no mention of Iraq.

The video of the so-called killing used the graphic format seen in previous tapes of beheadings released by Zarqawi's Tawhid and Jihad Group or for threatening statements.

It bore the same logo that had appeared in previous statements including most recently Saturday's threat to kill Iraqi Prime Minister Iyad Allawi.

This video, however, did not show the group's flag, or masked militants. The American was wearing trousers and a T-shirt, not an orange jumpsuit as worn by previous hostages of Zarqawi's group. It also did not display a severed head.

Zarqawi's group has claimed responsibility for several suicide bombings and other attacks on Iraqi and U.S. officials in recent months. It has also previously killed an American, a South Korean and a Bulgarian hostage in Iraq.

Reports and pictures of U.S. soldiers abusing Iraqi prisoners have sparked outrage in the Arab world and the international community, and have hampered U.S. efforts to stabilise the country amid a bloody insurgency.

Scores of hostages from two dozen countries have been seized in the last four months. Most have been freed but at least 10 have been killed, and at least 20 are still being held in Iraq. (additional reporting by Heba Kandil in Dubai) REUTERS

وبدورها تراجعت وكالة الصحافة الفرنسية عن موقفها لتقول:

قال موقع إسلامي على الإنترنت اليوم السبت إن الفيديو المزعوم (allegedly) الذي يظهر رهينة أمريكي يذبح من قبل جماعة مرتبطة بشبكة القاعدة الإرهابية مجرد خدعة (hoax).

ونلاحظ مقدار التشكيك هذه المرة باستخدام كلمة "مزعوم" التي خلت من خبر سابق وأيضًا كلمة "جماعة مرتبطة بشبكة القاعدة الإرهابية" وهي برأسها أبو مصعب الزرقاوي وليس كما ذكرت من قبل "الزعيم المفترض لتنظيم القاعدة في العراق أبو مصعب الزرقاوي".

وبالطبع قمنا في قناة العربية بتصويب الرواية بالاستعانة بما ورد على وكالات الأنباء العالمية؛ نظرًا لاستحالة تحقق مراسلينا في العراق من القصة.

وبدا مقدار السخرية من وسائل الإعلام التي سارعت جميعها إلى نقل تلك القصة الملفقة واضحًا على وجه بنجامين فاندرفورد الذي قال لوكالة أسوشيتدبرس إنه نفذ مشهد الذبح باستخدام مادة تشبه الدم، وبدأ توزيع شريط الفيديو على الإنترنت منذ شهور وقال "كان جزءًا من خدعة بارعة لكن أحدًا لم ينتبه لذلك حتى الآن". وبالطبع استغل فاندرفورد مبرمج ألعاب الفيديو إمكاناته المهنية وقدرًا كبيرًا من الخداع كي يحاكي شرائط الفيديو الواردة من العراق التي تتضمن مشاهد ذبح الرهائن كي تكتشف جثث بعضها فيما بعد.

Ali Al Nowaigi (Al Arabiya... [MBC]WIRES.ARABIC.ALL_1 العراق/الولايات المتحدة/رهينة موسع

SLUG	ORIGINATE TIME	FROM	DURATION	STATUS
العراق/الولايات المتحدة/رهينة موسع	[illegible]	AFPA	[illegible]	[illegible]

شريط اعدام الزرقاوي الرهينة الاميركي كان مزورا (موقع اسلامي)

دبي ٨-٧ (اف ب)- افاد موقع اسلامي على شبكة الانترنت ان شريط الفيديو الذي يظهر فيه الزعيم الارهابي لتنظيم القاعدة في العراق ابو مصعب الزرقاوي وهو يذبح الرهينة الاميركي كان "مزورا".

وكانت قناتا "العربية" و"الجزيرة" بثتا مقتطفات من شريط فيديو يظهر فيه رجل اكدتا انه رهينة اميركي قتل على حد قولهما "بيد الزرقاوي".

وقال الرجل ان اسمه بنجامين فورد من مدينة سان فرانسيسكو بكاليفورنيا على ما افادت القناتان مع التوضيح بان الشريط بث على موقع على شبكة الانترنت. وبثت القناتان الصور بدون صوت.

لكن موقعا اسلاميا يبث عادة بيانات تنسب الى مجموعة الزرقاوي "التوحيد والجهاد" اكد بعد ذلك ان "شريط الفيديو الذي يظهر اعدام الاميركي كان مزورا".

وكتب على الموقع "ان هذا الشريط صوره الاميركي بنفسه مع صديق له في سان فرانسيسكو".

حط/طه/ام مو١٣٢١

اف ب ٤-٠٧١٤٠ جمت اغو ٠٤

Ali Al Nowaigi (Al... [MBC]WIRES.ENGLISH ALL.Iraq-US-hostage-hoax-Vanderford

SLUG ORIGINATE TIME FROM DURATION STATUS
Iraq-US-hostage-hoax Vanderford AFP [USA] 2:16

US man posing as hostage in Iraq says he faked his beheading: AP

WASHINGTON, Aug 7 (AFP) - Benjamin Vanderford, a man believed to have been beheaded in Iraq, told the Associated Press Saturday that he faked his own demise at a friend's home months ago as "part of a stunt" to draw attention to his campaign for San Francisco city supervisor.

"It was part of a stunt, but no one noticed it up until now," 22-year-old Vanderford told the AP. "I did this for a couple of reasons. One is to attract attention. But two is to just make a statement on these type of videos and how easily they can be faked."

Al-Arabiya television in Dubai, showing excerpts from a video, reported Saturday that a US hostage had been killed "at the hands" of al-Qaeda's alleged chief in Iraq, Abu Mussab al-Zarqawi.

In the video, Vanderford, wearing a white T-shirt, sitting on a white plastic chair with his hands tied behind his back, called for the "immediate" departure of US forces from Iraq, warning that foreign troops would face death otherwise.

Vanderford, who had previously been identified in other news reports as Benjamin Ford or Benjamin Danforth, was shown speaking to the camera, but the television station aired the video without sound.

The network did not air parts of the video that appeared to show Vanderford being killed, but the AP said the videotape, entitled "Abu Mussab al-Zarqawi Slaughters an American," showed a hand holding a knife and apparently cutting the man's neck.

In recent months, al-Qaeda operatives have released several videos showing the decapitation of hostages in Iraq.

burs-ejp/kd

AFP 071348 GMT AUG 04

لم تتوقف وسائل الإعلام فى بداية الأمر عند تفاصيل الكادر ومقارنتها بنظيرتها الأخرى فبنظرة سريعة نجد أن الأمريكى كان يرتدى سروالاً وقميصاً وليس الزى البرتقالى الذى كان يرتديه الرهائن السابقون لجماعة الزرقاوى. كما أن راية الجماعة لم تظهر فى الخلفية ولا حتى الملثمين الذين يقفون فى العادة خلف الرهينة الذى يدلى ببعض الكلمات قبل أن يتم ذبحه فى المشهد المروع الذى تتحاشى جميع القنوات التليفزيونية إظهاره وهو الذبح من الأذن للأذن..

لكن فاندرفورد بدهائه استطاع أن يخدع الجميع؛ فالتسجيل تم فى غرفة مظلمة بين صور بدا أنها لجثث مشوهة لرجال ونساء وأطفال عراقيين سقطوا خلال الحرب. كما أنه كان بالإمكان سماع القرآن الكريم يتلى فى خلفية الصوت لدى مناشدته القوات الأمريكية الخروج من العراق. وربما مرت على وسائل الإعلام عشرات القصص التى

خلت من أى حقيقة خلال الحرب على العراق من الطرفين الأمريكى والعراقى.

وإذا كانت هذه إمكانات مواطن أمريكى فما هى بالضبط إمكانات جهاز الاستخبارات الأمريكى سى. آى. إيه؟!!

القاعدة تقتل أمريكيًا فى العراق (العربية):

الدوحة ٧ – ٨ (أ ف ب) – قالت قناة "العربية" الفضائية التى عرضت اليوم السبت مقاطع من شريط فيديو إن الزعيم المفترض لتنظيم القاعدة فى العراق، أبو مصعب الزرقاوى، قام بنفسه بذبح رهينة أمريكى.

وقالت القناة التى تبث من دبى إن شريط الفيديو نشر على موقع على الإنترنت وإن القتيل قدم نفسه بوصفه بنجامين فورد، من سان فرانسيسكو فى كاليفورنيا. وعرض الفيديو بلا صوت.

وقالت المحطة إن بنجامين فورد دعا إلى "ضرورة مغادرة الجنود الأمريكيين فورًا" للعراق "وإلا فإنهم سيتعرضون للقتل".

وعرض الفيديو شابًا يرتدى قميصًا قطنيًا أبيض ويجلس على كرسى بلاستيكى أبيض ويداه مقيدتان خلف ظهره.

وكان الشاب يتحدث إلى الكاميرا. ولم تعرض صورة الرجل وهو يقتل، لكن الشريط عرض صور قتلى عراقيين.

موقع على الإنترنت يعرض شريط فيديو لإعدام أمريكى فى العراق:

دبى ٧ أغسطس آب/ رويترز/ – قامت جماعة متشددة مرتبطة بأبو مصعب الزرقاوى المتحالف مع تنظيم القاعدة بإعدام رهينة أمريكى فى العراق بحد السيف، ونشرت شريط فيديو لتنفيذ عملية الإعدام على موقع الإنترنت اليوم السبت.

وقال الرهينة الشاب الذى كان يرتدى قميصًا لونه بيج وجالسًا على مقعد "أنا من سان فرانسيسكو.. كاليفورنيا.. نحتاج لمغادرة هذا البلد الآن.. إذا لم نفعل.. سيقتل الجميع بهذا الأسلوب".

وأضاف الرجل الذى ظهر عليه الخوف الشديد وقد قيدت يداه خلف ظهره وهو يهز مقعده إلى الأمام والخلف "عرض استبدالى بسجناء هنا فى العراق".

وأضاف: "لابد أن نترك هذه البلاد وشأنها. علينا إنهاء الاحتلال". ثم أظهر شريط الفيديو يدًا تمسك بسكين ضخم تقطع رقبة جسد مترهل.

ولم يتضح على الفور موعد تسجيل الشريط الذى يزعم أنه من جماعة التوحيد والجهاد ، ولم يتضح أيضًا المقصود بعرض الاستبدال بسجناء ويستحيل أيضًا التحقق من صحة الشريط.

تقرير.. أمريكى يقول إن شريط فيديو الإعدام خدعة

لإضافة تقرير أسوشيتدبرس أن الشريط خدعة

من هبة قنديل

دبى ٧ أغسطس آب/ رويترز/ – عرض موقع على الإنترنت يستخدمه إسلاميون شريط فيديو يزعم إعدام رهينة أمريكى بحد السيف اليوم السبت لكن نقل عن الرجل الذى ظهر فى شريط الفيديو قوله: إن الأمر كان خدعة. وقال بنجامين فاندرفورد من سان فرانسيسكو بولاية كاليفورنيا لوكالة أسوشيتدبرس إنه زيف شريط الفيديو فى منزل صديق.

شريط إعدام الزرقاوى الرهينة الأمريكى كان مزورًا (موقع إسلامى).

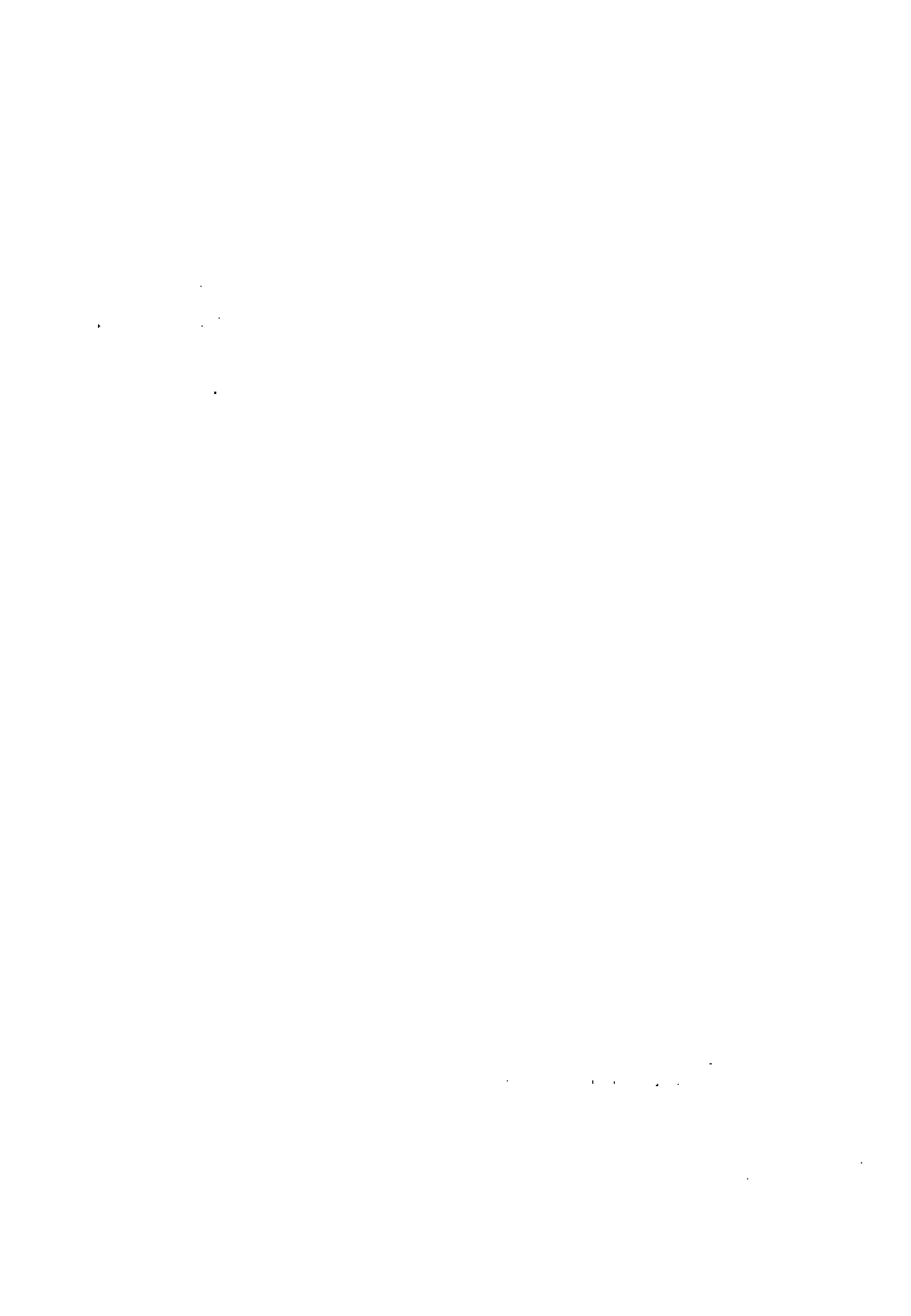
دبى ٧ – ٨ (أ ف ب) – أفاد موقع إسلامى على شبكة الإنترنت أن شريط الفيديو الذى يظهر فيه الزعيم الإرهابى لتنظيم القاعدة فى العراق أبو مصعب الزرقاوى وهو يذبح الرهينة الأمريكى كان "مزورًا".

وكانت قناتا "العربية " و"الجزيرة" بثتا مقتطفات من شريط فيديو يظهر فيه رجل أكدتا إنه رهينة أمريكى قتل على حد قولهما "بيد الزرقاوى".

وقال الرجل إن اسمه بنجامين فورد من مدينة سان فرانسيسكو بكاليفورنيا على ما أفادت القناتان مع التوضيح بأن الشريط بث على موقع على شبكة الإنترنت. وبث القناتان الصور بدون صوت.

لكن موقعًا إسلاميًا يبث عادة بيانات تنسب إلى مجموعة الزرقاوى "التوحيد والجهاد" أكد بعد ذلك أن "شريط الفيديو الذى يظهر إعدام الأمريكى كان مزورًا".

وكتب على الموقع "إن هذا الشريط صوره الأمريكى بنفسه مع صديق له فى سان فرانسيسكو".



الحياد والموضوعية

قنوات فى الميزان

فى حقيقة الأمر لا يمكن لأى طرف إعلامى شارك فى تغطية الحرب على العراق سواء من وسائل الإعلام العربية أو الغربية أن يتبجح ويجاهر بأنه كان حياديًا مائة فى المائة، وقدم تغطية للحدث لا تشوبها شبهة الانحياز والتجرد. فكل طرف غطى مجريات الحرب من منطلق خلفياته السياسية والثقافية والدينية، التى لا يمكن لأى صحفى أن يخلعها فجأة ويرتدى ثوب الحيدة والنزاهة.

وظلت الحقيقة رهينة هذه التوجهات أو تلك تتجاذبها الروح الوطنية بإغوائها، والموضوعية التى يحاول الصحفى المحترف أن يتحلى بها.

حاولت الكثير من وسائل الإعلام العربية والغربية التحلى بالموضوعية والاعتدال منذ البداية ونجحت فى بعض الأحيان وأخفقت فى أحيان أخرى.

لكن بعض الفضائيات حسمت أمرها منذ البداية وأعلنت انحيازها التام لطرف بعينه تحت شعار القومية. وكانت قناة فوكس نيوز التى وضعت العلم الأمريكى فى ركن شاشتها مثالاً صارخًا على هذا وابتعدت تمامًا عن الموضوعية.

ولا شك أن الفضائية العراقية على الجانب الآخر رفعت هذا الشعار وبالغت حينما غيبت تمامًا صورة الطرف الآخر عن الحدث. وهذا ليس مستغربًا فهى قناة حكومية تعمل فى ظل نظام شمولى وصف طوال الوقت بأنه ديكتاتورى.

غير أن الصورة على الجانب الآخر فى الولايات المتحدة حيث يروج للقيم الديمقراطية وحرية الرأى والتعبير لم تختلف كثيرًا، فقد سعت الإدارة الأمريكية إلى حسم الأمر مبكرًا.

فقد أرسلت توجيهات من أعلى مراكز صنع القرار فى البيت الأبيض إلى المحطات التليفزيونية الرئيسية تدعو لأن تكون تغطيتها لوقائع الحرب الوشيكة على العراق وطنية منسجمة مع المصالح الاستراتيجية الأمريكية. ورسمت بذلك حدودًا للوطنية والمصالح العليا التى لا يمكن لأى قناة أن تعمل فى خارج إطارها وإلا اتهمت ربما بالعمالة أو الخيانة. ويبدو أن قناة فوكس نيوز قد صعبت مهمة قنوات إخبارية أخرى

منافسة مثل سى. إن. إن فى سعيها لتحرى الدقة والموضوعية.

ويرى دايفيد ميللر محرر كتاب اكذب على: الدعاية والتشويه فى حرب العراق. إن محطات كبرى مثل سى. إن. إن. وفوكس نيوز وسى. بى. إس لم تبذل جهدًا كافيًا لاختراق الحصار الرسمى لتمحيص "المقولات الرسمية" المسوغة للحرب. فصحيح أن الحقيقة هى أولى ضحايا الحروب كما يقال دومًا، لكن هذه المقولة المعروفة يجب أن تدفع بالإعلام إلى محاولة كسر القيود التى تفرض عليه للحيلولة دون الحقيقة وليس للاستسلام لها.

ويقول الكتاب إن المشاهدين فى العالم رأوا صورة عن الحرب فى العراق فى الإعلام التليفزيونى الأمريكى، غير تلك التى كانت تنقلها وسائل إعلام أخرى وخاصة العربية.

والكتاب يعد وثيقة إدانة حقيقية لوسائل الإعلام الأمريكية على وجه الخصوص ومعها البريطانية، فهو يرى أن الإعلام فى البلدين أصبح مجرد ماكينة من الكذب تعيد إنتاج الخطاب الرسمى وتحتفى به. وهو يرى أيضًا أن الإعلام العربى أكثر موضوعية من نظيره الغربى وبوجه خاص القنوات الإخبارية الفضائية، التى تبث من منطقة الخليج.

ولا يمكن لأى كاتب موضوعى أن يبرئ وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) من تهمة ممارسة الضغوط على وسائل الإعلام الأمريكية خاصة المرئية. فوزير الدفاع دونالد رامسفيلد تخطى صلاحياته طوال الوقت كى يلقى بالاتهامات جزافًا لقنوات فضائية عربية. وقبل الحرب كان يولى اهتمامًا كبيرًا بالمنطقة العربية.

وأنشأ بالفعل إدارة جديدة تحت اسم "مكتب التأثير الاستراتيجى" بهدف تشكيل الرأى العام الدولى خاصة فى منطقة الشرق الأوسط، ونقلت صحيفة "نيويورك تايمز" عن مسئول أمريكى أن المهمة ستشمل أسوأ أنواع الدعاية السوداء وأفضل ما يمكن لتجميل صورة البنتاغون. ويشمل ذلك بث معلومات مضللة عن عمد فى وسائل الإعلام الخارجية. غير أنه تم حل هذا المكتب تحت ضغوط شديدة من الكونغرس وجماعات فى الإدارة الأمريكية قبل بدء الحرب على العراق.

لكن كوادر المكتب انتشرت بطريقة عنكبوتية فى وسائل الإعلام الأمريكية؛ لتبث أخبارًا مضللة وتفرض محللين عسكريين على بعض القنوات تحت مسمى ترشيح محللين. وبذلك ساهمت فى تقويض بعض من موضوعية تلك القنوات برقابتها المخملية.

ويؤكد الدكتور ريتشارد فيرلام خبير الإعلام الدولى الهولندى أن الحياد والموضوعية لا يتفقان دائمًا مع مصالح الإعلام الغربى ولا يمكن فصل هذا الإعلام

عن مصالح بلاده. فالحياد يفرض كشف الظلم والموضوعية تتطلب قول الرأى المجرد. ويقول إننا لم نجد هذا ولا ذاك فى التغطية الإعلامية الغربية للحرب على العراق، حيث كانت وسائل الإعلام الغربية تعزف سيمفونية أساسها نوتة موسيقية واحدة؛ فالكل اتفق وساند القوات العسكرية الأمريكية والبريطانية فى حملتها ضد العراق.

وفور انتهاء الحرب حذر مدير عام هيئة الإذاعة البريطانية وسائل الإعلام الأمريكية من مغبة ومخاطر عبور الخط الفاصل بين الوطنية والصحافة الموضوعية، وقال غريغ ديك Greg Dyke (*) خلال ندوة صحفية عقدت فى كلية غولد سميث بجامعة لندن "هذا ما يحدث فى الولايات المتحدة، وإذا ما استمر فإنه سيقوض مصداقية وسائل الإعلام الإخبارية الألكترونية فى الولايات المتحدة".

وأكد ضرورة تقديم طائفة من الآراء وتقارير من موضع الحدث حول العالم، وهو ما قد يسمح للمتابع برؤية الصورة كاملة.

ويرى نورمان سولمان مدير معهد الدقة الصحفية فى سان فرانسيسكو بولاية كاليفورنيا الأمريكية أن الصحافة يجب ألا تكون خاضعة لإدارة الحكومات أيًا كانت. الصحافة الجيدة يجب أن تكون مستقلة عن ضغوط الحكومات. وقال فى برنامج من واشنطن الذى بثته قناة الجزيرة فى ٢٠٠٤/٤/٣٠ حول تغطياتها للحرب: "الإدارة الأمريكية ستكون سعيدة ومسرورة لتغيير وسائل الإعلام للأزمة فى العراق. وأوضح أن البيت الأبيض يؤمن بأنه سيكون من الأفضل وأكثر فعالية لو أنه استطاع تغيير برامج الجزيرة". ويمضى قائلاً: "إذا كان السيد رامسفيلد يرغب فى أن تتوقف الجزيرة عن نقل صور قتل المدنيين فإن عليه أن يتوقف عن قصف العراقيين. إذا أراد البيت الأبيض أن يغير هذه الصورة عليه أن يغير سياسته".

وعلى غرار وسائل الإعلام الغربية وجهت انتقادات للفضائيات العربية بسبب انسياق العديد من مراسليها ومحلليها وراء عواطفهم مبتعدين بقدر كبير عن التحلى بالمهنية والتناول الموضوعى.

ويرى عبد الرحمن الراشد الذى كان يرأس تحرير صحيفة الشرق الأوسط الصادرة بالعربية فى لندن أن الفضائيات العربية لم تكن موضوعية إلا بعد سقوط صدام؛ حيث صال وجال مراسلوها وخلطوا بين آرائهم وحقيقة ما يجرى على الأرض. فقد تحول الإعلام (خلال الحرب) إلى إعلام تعبوى وملحق فى وزارة إعلام بغداد.

(*) محاضرة فى ندوة الصحافة بكلية غولد سميث جامعة لندن.

الراشد الذى أدار قناة العربية بعد الحرب قال فى مقابلة مع صحيفة البيان: "إنه لا توجد هناك موضوعية دائمة فى كل الأوقات وفى كل المواضيع. هناك دائمًا مساحة معقولة من عدم الموضوعية متاحة لوسائل الإعلام تكون كافية للتنفيس وهناك وسائل موضوعية لخرق الموضوعية، لكن ما مارسته الفضائيات العربية كان خرقًا دائمًا وخلطًا مستمرًا بين الخرافات والحقائق وتعمدًا واضحًا لتقديم المعلومات المشوهة".

وينبرى على الأحمد مدير قناة أبو ظبى للدفاع عن أداء قناته أثناء الحرب على العراق "نحن نتحرى الموضوعية، والأمانة هدف من أهدافنا؛ فالحدث نفسه فى مكان ما من أماكن القصف التى ستمتلئ فيما بعد بالجثث قد يؤثر على مشاعر المراسل، والنجاح يأتى إذا حيد هذا المراسل عاطفته حين يرسل تقريره إلينا. فنجاح أى قناة لا يتم من خلال استفزاز عواطف المشاهد أو اللعب بها. إنما نقل صورة حيادية ومهنية بعيدة عن الضغط، فالمشاهد فى المحصلة يحكم على ما يقدم له عبر الفضائيات. وأعتقد أننا نجحنا فى عرض الأخبار بطريقة حيادية".

أما نارت بوران مدير المركز الإخبارى فى فضائية أبو ظبى فقد رأى فى مقابلة مع قناة سى. إن إن بعد انتهاء الحرب أن التغطية الإخبارية للقناة جاءت من منطلق التوازن والموضوعية. وقال "لا نستخدم مصطلحات مثل العدوان أو الغزو، وإنما نستخدم الحرب على العراق. لقد كان واضحًا منذ البداية أننا لسنا طرفًا فى الحرب، ولهذا لم نورط أنفسنا فى اختيار مصطلحات معينة حتى نقوم بتغييرها مع تغير الوضع".

نموذج مذكرة داخلية

يرجى من الزملاء الكرام مراعاة استخدام المفردات المناسبة فى التقارير وخصوصًا فيما يتعلق بالعراق، إذا ما قامت حرب جديدة بحيث نتمكن من التغطية بصورة ملائمة ومناسبة وتليق بالمستوى المهنى لقناة أبو ظبى وعرض الأخبار بدون تزييف وكذلك بدون تزيين.

العمل العسكرى:

استخدام عبارة "الخيار العسكرى" أو "الحرب ضد العراق"، وعدم استخدام عبارة "الاعتداء الأمريكى" أو عبارة "الضربة العسكرية".

استخدام عبارة "أغارت الطائرات الأمريكية" أو "شنت الطائرات الأمريكية" هجمات وليس "اعتدت الطائرات الأمريكية".

عدم وصف القتلى من الجانبين:

عدم استخدام وصف الشهداء للقتلى العراقيين، وكذلك عدم استخدام كلمة الضحايا للقتلى الأمريكيين.

استخدام العبارات التى تصدر عن الجانبين بصورة رسمية كما هى دون تحريف، أى عدم استخدام عبارة "ما يسمى" أو "ما يسميه العراق" أو "ما تسميه الولايات المتحدة".

عدم إعطاء أوصاف للمواقف الصادرة عن الدولتين، أى عدم استخدام عبارة "الأطماع الأمريكية" والاستعاضة عنها بعبارة "المخططات الأمريكية".

عدم شخصنة الأحداث، أى عدم اختزال الحرب بشخصى "صدام حسين" أو "جورج بوش"، وبالتالى عدم الحديث عن "قصور صدام حسين" أو "نظام صدام حسين"، والاستعاضة عن ذلك بعبارة "القصور الرئاسية" و"النظام العراقى". بشأن السلطة العراقية، عدم استخدام عبارة "الحزب المسيطر" أو "الفئة الحاكمة" وإذا كان لا بد من استخدام العبارة فيقال: "الحزب الحاكم".

فى وصف الجماعات العرقية وفئات الشعب العراقى: عدم الإشارة إلى الأكراد أو الشيعة أو العرب بأى صفات مثل القول: "الجماعات الشيعية المتذمرة" أو "المهمشة" أو "الأكراد الطامعون....".

عدم الإشارة إلى "كردستان العراقية" وكأنها جزء منفصل من العراق، والاستعاضة عنها بعبارة "كردستان" أو "شمال العراق".

فيما يتعلق بعلاقات العراق والكويت:

الإشارة إلى "الغزو عام تسعين" وليس "الاجتياح العراقى" أو "الدخول العراقى" إلى الكويت.

بالنسبة إلى إيران عدم الإشارة إلى "عدو الأمس".

فى حالة نقل تصريحات رسمية أمريكية أو عراقية أو غير ذلك نسبتها إلى أصحابها التى نقلت عنهم وعدم الإشارة إليها وكأنها صادرة عن المراسل أو القناة.

مع التمنيات بالتوفيق.

قناة الجزيرة التي تعرضت لسيل من الانتقادات والاتهامات الأمريكية بسبب تغطيتها للحرب على العراق دافعت عن نفسها في مناسبات عدة وانبرى عدد من خبراء الإعلام الغربيين للدفاع عنها كما أوردنا في مناسبات عدة.

ودافع إبراهيم هلال رئيس تحرير الأخبار بالقناة عن موضوعية وحياد تغطيتها الإخبارية في لقاء مع قناة سي.إن. إن الإخبارية متسائلاً: كيف يمكن أن توصف قناته بالانحياز للجانب العراقي رغم أن مراسليها تعرضوا للطرد من العراق، لكنه يؤكد على الدور الأخلاقي الذي لعبته القناة - حسب قوله - في إعادة اكتشاف ما يجري في العراق عقب حرب الخليج الثانية وبدء الحصار. مشيرًا إلى أنه تم الإعداد لصياغة السياسة التحريرية قبل بدء الحرب بأسبوعين حينما ظهر جليًا أن الحرب قادمة. ويوضح أنه تم تسمية القوات الأمريكية والبريطانية باسميهما دون الإشارة إلى أنهما قوات تحالف، وذلك بسبب غيبة المرجعية القانونية وعدم وجود موافقة عربية، وحينما دخلت هذه القوات إلى الأراضي العراقية تم تسميتها بالقوات الغازية.

ويتساءل في لقائه مع سي. إن. إن. لماذا يتم تقبل المفردة المقابلة لكلمة غزو في اللغة الانجليزية في الوقت الذي تثار بعض الأسئلة حينما نستخدمها باللغة العربية. ويقول هلال: "أما بالنسبة للعمليات الهجومية فقد اتفقنا على عدم وصفها بالانتحارية أو الاستشهادية والإبقاء على التسمية التي نستخدمها في الشأن الفلسطيني وهي عمليات فدائية... في حين تم الإبقاء على وصف القتلى من الجانبين بنفس الاسم "قتلى"".

فضائية المؤسسة اللبنانية العامة للإرسال إل. بي. سي. المنوعة التي تحولت خلال فترة الحرب إلى قناة إخبارية ترى أنها لم تكن أقل موضوعية من الآخرين في تغطية مجريات الحرب. لكن رئيس تحرير الأخبار فيها عماد القاضي يعترف بأنها لم تكن حيادية بالمفهوم المطلق ويتساءل "كيف يمكن لعربي أن يكون حياديًا بصرف النظر عن تاريخه أو علاقته بصدام، فهو بلا شك سيتعاطف مع العراقيين أكثر من تعاطفه مع الطيار الأمريكي الذي يقصف إحدى مدن العراق". لكنه يستدرك خلال مقابلة أجرتها معه قناة سي. إن. إن قائلاً: "إن الحيادية هي في تقديم الخبر، فنحن لسنا معادين لأمريكا وإنما للحرب".

الموضوعية والمصداقية:

ستيف ويليامز من هيئة الإذاعة البريطانية قال في برنامج أذاعته الهيئة باللغة العربية "بعض القنوات العربية قامت بعمل لا يستهان به مثل قناة "الجزيرة" خاصة عندما كان

العراق عرضة لهجمات فظيعة خصوصًا عندما انحرفت صواريخ عن أهدافها كما حدث في واقعة السوق الشهير. فأنا أعترف إذن أن الجزيرة نقلت كل أهوال الحرب بكل بشاعتها من الميدان إلى الشاشة مما كانت عليه تغطية بي. بي. سي. لكن تجدر الإشارة إلى أن لدى بي. بي. سي قوانين تحدد بمقتضاها ما قد ينقل للمشاهدين وما لا يباح لهم وهو ما تسميه بي. بي. سي (خط التقسيم المائي) أي أننا كصحفيين مقيدون في تغطيتنا، خاصة المشاهد المرعبة لا يسمح لنا بتجاوزها لأننا دائمًا نأخذ بعين الاعتبار الأطفال والعائلات التي تستهدفها برامجنا عادة. لذلك يحظر علينا نقل مشاهد عن أشخاص يحتضرون أو إصابات دامية عن قرب، هذان أمران قد تشاهدهما في خلفية الصورة فقط".

ترى الدكتورة جيهان رشتي الإعلامية المعروفة وعميدة كلية الإعلام السابقة بجامعة القاهرة أن الفضائيات العربية قدمت للمشاهد تغطية متوازنة فيما ما يقدمه العراقيون من حقائق وأخبار، وفي نفس الوقت هناك مراسلوها في واشنطون ولندن والدوحة ينقلون ما يقوله الجانب الآخر. وقالت في لقاء مع صحيفة البيان الإماراتية في أعقاب الحرب على العراق "لقد قدمت هذه الفضائيات وخاصة الجزيرة وأبو ظبي تغطية جيدة تم فيها الاعتماد على الأخبار والتقارير في وقتها، فضلاً عن التحليلات العسكرية والسياسية المتعمقة من خلال استضافة معلقين عسكريين وسياسيين على درجة عالية من الكفاءة للتعليق على تطورات الأحداث في الأراضي العراقية".

في غمار السباق الماراثوني بين قناتي أبو ظبي والجزيرة على تغطية الأحداث بالعراق سقطت غرفتا الأخبار فيهما والقائمون عليهما في أحيان عدة. نسوق مثالاً على ذلك تلك الوثيقة التي عرضت على شاشتي القناتين يوم السبت ١٩ أبريل ٢٠٠٣ أي بعد عشرة أيام من سقوط بغداد وذكرت المحطتان في خبريهما أنها رسالة من صدام حسين إلى الشرطة السرية في العراق يطالبها فيها بالتوقف عن القتال ضد القوات التي تقودها الولايات المتحدة، وقالت الوثيقة العربية إن العراق انتصر على الغزاة. ولم يكن بالوثيقة ما يشير إلى تاريخ كتابتها، لكن تصدرتها عبارة "وقف إطلاق النار".

وعلى الرغم من خطورة الوثيقة والمصداقية التي يمكن أن تحوذها إثر عرضها على شاشات القناتين، إلا أنه تم السماح بإذاعتها دون التأكد تمامًا من مصداقيتها ولكن عرض الخبر بنوع من تحري الدقة اللفظية. وفي غمار الأحداث المتلاحقة والأخبار المتدفقة كالسيول من العراق لم يكن هناك وقت كاف لانتداب خبير خطوط ومقارنة الوثيقة بأي كتابات أو نسخ مخطوطة للرئيس العراقي إن وجدت. أو تحليل مضمون الوثيقة.

وكان من الممكن مع التشكيك في الوثيقة أن يتم الامتناع عن إذاعتها تحري الدقة، فالوثيقة تدعو على لسان الرئيس الشرعي للعراق آنذاك بوقف إطلاق النار أي وقف المقاومة لقوات الاحتلال والاستسلام لمصير محتوم.

ومن واقع أن وسائل الإعلام هي أوعية أو وسائل لنقل الأخبار؛ فإن عليها واجب مهني يتمثل في عدم الانحياز لهذا الجانب أو الآخر، ولا يوجد هناك أدنى شك في أنها تنحاز للجانب الأمريكي البريطاني أو أنها تخاطب أفضل أمانيه وهي توقف المقاومة. وهي أيضًا تلحق ضررًا كبيرًا بالجانب العراقي، الذي كان ينفخ في جذوة المقاومة كي تشتعل وتمتد إلى أنحاء العراق كما حدث بعد ذلك.

ولم يكن بإمكان الرئيس العراقي أو أي من كبار أو صغار مسئولي حزب البعث الظهور علنًا للطعن في صحة الوثيقة. كما أنه بالطبع لم يكن بإمكان الجزيرة أو أبو ظبي استضافة أي من أولئك المسئولين المطاردين من قوات الاحتلال.. ولم يكن هناك حديث عن إمكانية قيام الاستخبارات الأمريكية والبريطانية بتزوير الوثيقة.

ورد صدام الذي يبدو أنه كان على دراية بما كان يحدث برسالة نشرت على صفحات صحيفة القدس العربي التي تصدر في لندن بعد نحو ثلاثة أسابيع. ونشرت في يوم السبت ٢٠٠٣/٥/١٠ (مايو) وحث فيها العراقيين على سحق قوات الغزو بقيادة الولايات المتحدة. وقالت الصحيفة إنها تلقتها بالفاكس من الأردن وأن صدام وقع جميع صفحات الرسالة الست. وحمل صدام في رسالته على دول الجوار واتهمها بمساعدة الأمريكيين ودعا العراقيين للوحدة ومقاومة الاحتلال.

ولكن ربما تكون الفائدة المرجوة من إذاعة الوثيقة التي أثبتت المواقف التالية لصدام أنها زائفة أن الرئيس العراقي احتاط للأمر وبدأ في تسجيل رسائل صوتية لا تخطئها أذن عراقي. وهي رسائل تجشمت قناة العربية الكثير من المتاعب من أجل إذاعتها بالطبع مع قناة الجزيرة بعد أن انسلت قناة أبو ظبي تحت جنح الظلام وسط دهشة المراقبين وابتعدت عن السباق لتحل موضعها قناة العربية.

معايير التغطية الأمريكية

محللو مركز أبحاث الإعلام الأمريكى Media Research Center، الذى يتخذ من الإسكندرية بولاية فيرجينيا الأمريكية مقرًا له أعابوا على التغطيات الإخبارية للشبكات الأمريكية بأنها سقطت فى نفس الخطأ الذى وقعت فيه خلال حروب سابقة؛ وهو هبوط مستوى التشكيك والتدقيق فى مصداقية الدعاية المعادية خلال الحرب على العراق، وأخذوا على العديد من الشبكات الأمريكية أنها أسهبت بدون تعقل فى شرح مناحى الحملة العسكرية الأمريكية دون التحقق من مدى خطورة ذلك.

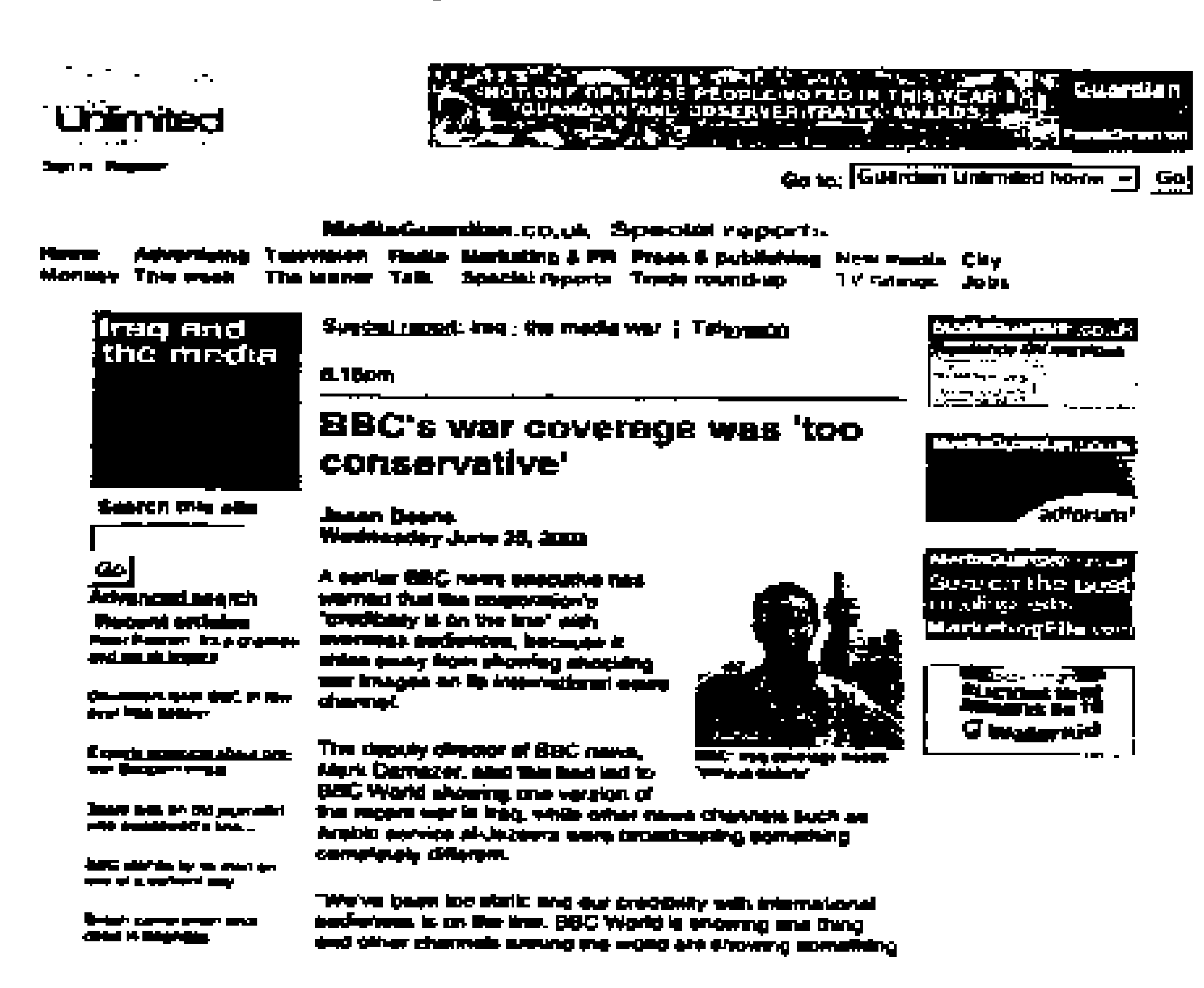
قال المحللون فى تقرير مطول: إن الشبكات الإخبارية تقاعست عن إبراز الأجندة المتطرفة للذين نظموا المظاهرات المناوئة للحرب على العراق داخل الولايات المتحدة وخارجها. تابع المحللون تغطيات الشبكات الإخبارية الرئيسية الأمريكية للحرب على العراق وهى: ABC, CBS,NBC, MSNBC, CNN, Fox news

١ - جاءت قناة فوكس نيوز FNC فى مقدمة تلك القنوات واحتلت المرتبة الأولى فى ترتيب القنوات الأفضل تغطية للحرب إلا أنها نالت درجة B وليست A بسبب الضرر الذى ألحقه بها مراسلها "جيرالدو ريفيرا" عندما كشف عن موقع ومهمة وحدة كان يرافقها غرب النجف فى العراق. ونالت الشبكة هذا التقييم بعيدًا عن "فكرة المعايير المجردة الحرة" للتغطيات الإخبارية. ولكن كما قال المقيمون "لدورها فى مساعدة المشاهدين على رفض الفكرة الحرة المعيارية التى تقوم على أن التغطية الموضوعية لأخبار الحرب تتطلب عدم التحيز واللامبالاة تجاه نجاح الولايات المتحدة أو إخفاقها (فى تلك الحملة العسكرية)"[*].

٢ - وجاءت شبكة CBC فى المرتبة الثانية على الرغم من المآخذ التى سجلها عليها القائمون على التقييم مثل اللقاءات التى أجريت مع مسئولين وعسكريين يشكك فيها فى قدرة القوات الأمريكية، وتقارير وصفت بالسلبية ووصف سلبى للمذيع

(*) FNC aided Viewers by rejecting the standard liberal that objective war news requires an indifference to whether America succeeds or fails.

القائم على إذاعة برنامج "أخبار العالم الليلة" وهو بيتر جيننغس Peter Jennings فقد استهل تلك الفترة مساء ٢٤ مارس قائلاً: "هجمات في جميع أنحاء العراق. وهناك المقاومة والطقس. الرئيس العراقي ما زال حيًا وعلى شاشات التليفزيون. ويعتقد الأمريكيون أنه ما زال ممسكًا بزمام السيطرة.. "وهو ما تناقض مع ما أذاعه زميل له حول التقدم السريع الذي تحرزه القوات الأمريكية باتجاه بغداد".. إلا أن ما رجح كفة هذه القناة في نظر المحللين بالمركز هو تعليقات المراسلين خاصة مراسل القناة في البنتاغون دافيد مارتين، الذي كان يعلق على ظهور الرئيس العراقي في الرابع من أبريل على شاشات التلفاز "قد يبدو صدام واثقًا ومتحكمًا في الأمور، لكن موقفه العسكري كارثي. فقوات العدو في مطاره وفي الضواحي تسحق أفضل فرقه بانهمار غير متوقف من القنابل وقذائف المدفعية. والمارينز يقومون بتشديد هجماتهم ضد فرقة أخرى من الحرس الجمهوري، هناك سبب جازم للاعتقاد بأنها مسألة وقت قبل أن تباد جميع فرق صدام"(*).


MediaGuardian.co.uk | Special reports | BBC's war coverage was 'too conservative'

Page 1 of 3

Unlimited

MediaGuardian.co.uk Special reports

Iraq and the media

Special report: Iraq: the media war | Television

BBC's war coverage was 'too conservative'

Jason Deans
Wednesday June 25, 2003

A senior BBC news executive has warned that the corporation's "credibility is on the line" with overseas audiences, because it shies away from showing shocking war images on its international news channel.

The deputy director of BBC news, Mark Damazer, said this had led to BBC World showing one version of the recent war in Iraq, while other news channels such as Arabic service al-Jazeera were broadcasting something completely different.

"We've been too static and our credibility with international audiences is on the line. BBC World is showing one thing and other channels around the world are showing something

---

(*) Pentagon reporter David Martin "Saddam may look Confident and in charge, but his military situation is disastrous. Enemy troops at his airport and his Suburbs and his best divisions being chewed up by a ceaseless rain of bombs and artillery shells... With Marines already pressing the attack against another Republican Guard division, there's every reason to believe it's only amatter of time before all of Saddam's divisons are gone".

ويبدو أن المحكمين أو المقيمين لأداء الشبكات وضعوا نصب أعينهم المصلحة القومية الأمريكية قبل التقييم الحيادى.. وتبنوا تقييمًا موضوعيًا يتماشى مع اتجاهات وعواطف المشاهدين والمصلحة العليا، بغض النظر عن التقييم المعيارى الحر البعيد عن التحيز.

٢ - حصلت قناتا (NBC/ MSNBC) على درجة (+C) والمركز الثالث فى الترتيب. وطبقًا لآراء الخبراء والمحللين فى مركز أبحاث الإعلام. فإنهما قدمتا تغطية متماسكة وواقعية، خاصة من فريق المراسلين المدمجين التابع لهما، والذى عمل مع قوات التحالف وقدم صورة قوية لأدائها.

غير أن استعانة القناتين ببيتر أرنيت Peter Arnett كمراسل فى بغداد قد أضعف موقف القناتين بسبب تصريحاته ضد القوات والقيادة الأمريكية. وهو ما سنعرض له فى موقع آخر. وفى تقييمهم أعابوا على القناة تغطياتها لرد الفعل الشعبى للحرب، والذى أظهر أن المعارضين لاستخدام القوة أكثر من تلك الأقلية. ورأى الخبراء أن قناة MSNBC قد لجأت للمبالغة أحيانًا فى تلك التغطيات. على سبيل المثال وقفت المراسلة آشلى بانفيلد Ashleigh Banfield أمام قاعدة فورت كامبل فى كينتاكى لتقول "الزوجات والعائلات قلقون جدًا على أزواجهن الملحقين بالفرقة مائة وواحد المحمولة جوًا خلف البحار... لقد أوقدوا الشموع. ونرى قسيسًا ومعه أربعة من زملائه المنتشرين بين الموجودين، وهم يصلون ليس فقط من أجل سلامة الأزواج، ولكن أيضًا من أجل نجاح مهمتهم".

أخذوا أيضًا على القناة التشبيهات التى يستخدمها مذيعها النجم برايان ويليامز Brian Williams عندما استخدم تشبيهًا فى غير موضعه لدى توجيهه سؤال فى مقابلة وأخطأ عندما شبه "القصف الدقيق لمبان حكومية فردية فى بغداد بالقصف الشديد العشوائى الذى دمر بالفعل درسدن بألمانيا فى عام خمسة وأربعين وتسعمائة وألف" ولدى عرض صور الانفجارات فى بغداد يوم الحادى والعشرين من مارس قال: "ذلك المشهد أسفل شرق (الشاشة) يبدو مثل درسدن، إنه يبدو مثل القصف الذى تعرضت له المدن اليابانية خلال الحرب العالمية الثانية".

غير أنه يبدو أن ويليامز قد تعرض لضغوط كبيرة فعاد فى الثانى من أبريل أى بعد نحو أسبوعين ليصوب تشبيهاته "القصف الذى تعرضت له درسدن وطوكيو فى الحرب العالمية الثانية كان يقصد به قتل المدنيين وترهيب الناجين. ولكن هنا نشهد العكس. فالقوات الأمريكية كانت أكثر من مرة هدفًا لهجمات المدنيين وقد تكون أجبرت على قتل الدروع البشرية المكرهة على الرغم من جميع المحاولات لتجنب ذلك".

٤ - شبكة سى. إن. إن الإخبارية CNN حلت فى المركز الرابع قبل الأخير متراجعة على الرغم من مكانتها العالمية المعهودة، والتى مكنتها من الانفراد بتغطية حرب الخليج الثانية. غير أن تحالف شبكة فوكس نيوز مع وزارة الدفاع الأمريكية ربما يكون قد أثر عليها كثيرًا.

وهز من مصداقية الشبكة التصريحات التى أدلى بها مدير الأخبار إيسون جوردان Eason Jordan لصحيفة "نيويورك تايمز" عندما اعترف بأن الشبكة لم تذكر شيئًا عن اختطاف مصور عراقى يعمل لديها وتعرضه للضرب والصعق بالكهرباء. وأن مسئولين عراقيين حاولوا قتل مراسلى سى. إن. إن فى شمال العراق. ولم تذكر الشبكة ما باح به مسئولون عراقيون سرًا بأن صدام مهووس يتعين إزاحته.

"المصطلحات والتعبيرات الإعلامية"

"قوات التحالف":

ذهب الأمريكيون والبريطانيون إلى ساحة القتال ومن خلفهم قوة استرالية وأخرى إسبانية دون الحصول على غطاء دولي يشرع لهم الحرب. وأخفق الأمريكيون والبريطانيون كثيرًا في مجلس الأمن بعد أن تصدت لهم فرنسا وروسيا والصين الأعضاء الثلاثة الأخرى دائمي العضوية في مجلس الأمن..

وبدا أن الأمريكيين والبريطانيين يعانون من العزلة الدولية، ولذلك أطلقوا على القوات الغازية اسم "قوات التحالف" أو "القوات المتحالفة" "Coalition Forces" "Allied forces" وتناقلت معظم وسائل الإعلام الغربية هذه التسمية ورددتها وسائل إعلام عربية على اعتبار أنها تنقل عن وكالات أنباء غربية. تليفزيون وإذاعة هيئة الإذاعة البريطانية B. B. C. كثيرًا ما كان يبدأ الخبر بكلمة قوات التحالف قصفت.. أو تقدمت.. أو.. منيت ثم يحدد تفصيليًا في ثنايا الخبر اسم القوات بريطانية أم أمريكية.. وكانت الهيئة تحرص – على حسب ما تابعته أو رصدته من خلال موقع بي. بي. سي على الإنترنت – تحرص على الدقة في المسميات أكثر من غيرها، وكثر استخدام مصطلح "قوات التحالف بزعامة الولايات المتحدة" وهنا أمسكت القناة بـ "العود من منتصفه" كما يقولون... ومن أمثلة ذلك خبر أوردته في ٢٠٠٣/٤/٢ والحرب على العراق في ذروتها "أكدت اللجنة الدولية للصليب الأحمر صحة ما أفادت به تقارير صحفية حول تعرض مستشفى ولادة تابع للهلال الأحمر العراقي للقصف في أحدث غارة جوية تشنها قوات التحالف بزعامة الولايات المتحدة على بغداد".

إلا أننا نلاحظ أن بي. بي. سي أو بالأحرى مراسليها في بغداد لم يعمدوا إلى تحري هذه الدقة في الوصف، ومثال ذلك هذا الخبر الذي أوردته قبل ذلك بثلاثة أيام ٢٠٠٣/٣/٣٠.

"تعرضت بغداد ليلة السبت – الأحد لقصف يعد الأعنف من نوعه منذ أيام، حيث طال مواقع يقال إنها للحرس الجمهوري ومباني حكومية. وقال أندرو غليغان موفد بي.

بى. سى إلى العاصمة العراقية: إن الحلفاء شرعوا فى استخدام قنابل أكبر حجمًا، مضيفًا أن دوى الانفجارات استمر دون انقطاع منذ حلول الليل"..... "وقد توعد العراق قوات التحالف بمزيد من العمليات التفجيرية بعدما فجر ضابط عراقى نفسه قرب مدينة النجف يوم السبت وقتل معه أربعة جنود أمريكيين".

نلاحظ فى نفس الخبر أنه تم استخدام كلمتى الحلفاء وقوات التحالف حين الحديث عن القوات الأمريكية البريطانية التى كانت تشارك فى عمليات القصف الجوى دون مساندة أى قوات أخرى..

لكننا نلاحظ هنا أيضًا استخدام كلمتى "العراق" وهى كلمة محايدة تمامًا وليس قوات البعث – النظام العراقى – أو قوات صدام.. وهى مصطلحات درجت محطات أخرى على استخدامها للدلالة على أن الحرب موجهة ضد النظام الحاكم، وليس العراق بمجمله بما فيه الشعب.

كما نلاحظ هنا استخدام مصطلح "العمليات التفجيرية" وهو وصف حيادى أيضًا، غير أن القنوات العربية درجت على وصفها بالعمليات الانتحارية أو عظمها البعض بتسميتها "عمليات استشهادية" على غرار الأخرى الفلسطينية... لكن بى. بى. سى تعود فى مواضع أخرى لاستخدام تعبير عمليات انتحارية لوصفها لما يحدث فى الأراضى الفلسطينية بوجه خاص..

وكلمة "Suicide" تعنى فى العربية انتحار أو منتحر. وهو لفظ درج على استخدامه فى الغرب لوصف من يفجرون أنفسهم.

"شهيد – قتيل":

فى حين اتفقت وسائل الإعلام الغربية على وصف العراقيين الذين سقطوا خلال العمليات العسكرية من مدنيين وعسكريين بالقتلى، انقسمت وسائل الإعلام العربية وبوجه خاص القنوات الفضائية.

فقنوات فضائية إخبارية مثل الجزيرة والعربية وأبو ظبى (تحولت لقناة إخبارية خلال الحرب) حاولت أن تكون قنوات محترفة وحيادية وأطلقت مسمى "قتلى" على من سقط خلال المعارك من الطرفين.. وصدرت مذكرات داخلية تذكر بذلك.

ومعسكر آخر كان يطلق على القتلى العراقيين وصف "شهيد" وهى فى معظمها قنوات حكومية رسمية مثل الفضائية المصرية – الفضائية السورية – قناة النيل

للأخبار (مصرية) – القناة السودانية واليمنية وغيرها... وتمادى آخرون فى هذا الاتجاه مثل قناة الشارقة الفضائية التى تصدر من إمارة الشارقة بدولة الإمارات العربية، التى كانت تحض فى ثنايا أخبارها على الشهادة. وعلى العكس تمامًا من هذا المعسكر وقفت الفضائية الكويتية على الطرف الآخر لتعرف نوعية القتلى فهم دائمًا من قوات النظام العراقى.. أزلام صدام.. فلول صدام حسين؛ لترسخ فى ذهن المتلقى أن القتلى ليسوا من أبناء الشعب العراقى، ولكن من فئة معينة مرتبطة بنظام باطش محتل وجاثم على صدر أبناء الشعب العراقى – وقد يبرر ذلك بالخطاب الإعلامى الكويتى الذى لم يتغير منذ الغزو العراقى فى عام ١٩٩٠.

استثناء وحيد هو مراسل قناة الجزيرة "طارق أيوب" الذى قتل فى قصف أمريكى لمكتب قناة الجزيرة فى بغداد (٢٠٠٣/٤/٨).

نقلت قناة الجزيرة عن قناة أبو ظبى التى كانت ما تزال تبث على الهواء من بغداد خبر مقتل مراسل الجزيرة بعد توقف بثها الحى إثر القصف.

خبر عاجل:

"مقتل مراسل الجزيرة طارق أيوب فى قصف أمريكى لمكتب الجزيرة فى بغداد".

كنت فى ذلك الوقت أعمل رئيسًا لتحرير النشرات الإخبارية "Producer" وبدقة أكثر رئيس التحرير الذى يغطى هذه الفترة.. أذعنا الخبر..

مقتل مراسل الجزيرة فى قصف تعرض له مكتب قناة الجزيرة فى بغداد...

وكنا قد نقلنا الخبر عن مراسلنا... وقمت أنا بتحرير الخبر.. بعد قليل طلب المدير تقريرًا عن الصحفى القتيل وكلف به أحد الزملاء المحررين، ولدى مراجعتى للتقرير وجدت كلمة شهيد وليس قتيل.. قال لى الزميل المحرر إن المدير طلب منه ذلك.. دار بينى وبين المدير – الأردنى الجنسية – جدل حول وصف المراسل القتيل – أردنى الجنسية – بالشهيد والتغاضى عن وصف المدنيين العراقيين الذين سقطوا فى القتال بأنهم شهداء.. انتهى النقاش بقوله إنها أوامر عليا...

وأمام ترديد قناة أبو ظبى كلمة شهيد فى وصفها لحادث مقتل طارق أيوب الذى أثار عواطفنا جميعًا؛ اضطرت قناة الجزيرة لاستخدام كلمة شهيد بدلاً من كلمة قتيل... الملاحظ أيضًا أن قناة أبو ظبى كانت أكثر حذرًا حينما قالت: "... فى قصف تعرض له مكتب قناة الجزيرة..." مقارنة بقناة الجزيرة التى حددت مصدر القصف "... فى قصف أمريكى لمكتب الجزيرة فى بغداد..".

بعد ذلك بقليل تعرض مكتب قناة أبو ظبى للقصف وهو يغطى على الهواء من بغداد عمليات القصف الجوى وحركة الدبابتين على جسر الجمهورية..

تحرت القناة الدقة وكان خبرها العاجل "تعرض مكتب قناة أبو ظبى فى بغداد للقصف"..

نلاحظ هنا أنه لم تذكر الجهة التى قامت بالقصف مقارنة بالخبر العاجل الذى أوردته قناة الجزيرة الذى حدد الجهة التى قامت بالقصف إلى أن تم تحرى الجهة التى قامت بالقصف.. وهى الأمريكيين..

اعترض الأمريكيون على استخدام وسائل إعلام عربية لوصف القتلى من العراق بالشهداء. وقال نبيل خورى المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية من لندن فى مقابلة تليفزيونية.. إن كلمة شهيد توحى بتعظيم عمل المقاتلين فى العراق.

ورأى الأمريكيون أن استخدام كلمة شهيد ستحرض الكثير من العراقيين على الانخراط فى القتال إذا رددتها وسائل الإعلام وبوجه خاص القنوات الفضائية؛ لما لها من مدلول دينى استفاض فى شرحه المتحدثون باللغة العربية الذين استعانت بهم الإدارة الأمريكية لمخاطبة الرأى العام العربى عبر الفضائيات الناطقة باللغة العربية.

"غزو أم تحرير":

التزمت قناة بى. بى. سى أو لنقل هيئة الإذاعة البريطانية الدقة وعدم اللجوء للوصف واللجوء إلى ألفاظ ذات إيحاءات.

"تقول القوات البريطانية إنها تحقق مزيدًا من التقدم باتجاه مدينة البصرة، ثانى أكبر مدينة عراقية، وهى تستهدف أهم القادة العسكريين العراقيين فيها".

"وتقول أيضًا إنها شنت هجومًا على بناية فى المدينة يعتقد أن قائد المنطقة الجنوبية على حسن المجيد يستخدمها كمقر له"...

"إلا أن وزير الإعلام العراقى قال: إن القوات العراقية واجهت القوات البريطانية فى البصرة ودمرت لها سبع دبابات، وأن القوات البريطانية تقهقرت إلى الوراء" السبت ٢٠٠٣/٤/٥.

نلاحظ من الخبر أنه تم نقل ما قاله الطرفان بدون أى وصف باستعمال فعل القول.. ولم يتم وصف القوات البريطانية (بى. بى. سى. هيئة بريطانية تمول من الحكومة) بأنها قوات تحرير أو غزو.. فى المقابل كان التليفزيون العراقى يصف القوات

الأمريكية بأنها "قوات الغزو"، وتردد ذلك كثيرًا على لسان وزير الإعلام العراقى وربما لو كنا فى موقع يطلب منا فيه وصف تلك القوات لوصفناها بأنها قوات غازية. ولم تتردد قناة C. N. N فى استخدام الوصف ففى أحد برامج الحرب التى كانت تدار على الهواء وكتبت على شاشتها كلمة غزو Invasion أو اجتياح على الرغم من استخدامها مصطلح "عملية تحرير العراق".

ولم تجد وسائل إعلام عربية تقول إنها تقف على الحياد غضاضة فى استخدام كلمة اجتياح ولكنها رفضت استخدام كلمة غزو. كالعربية وأبو ظبى على سبيل المثال، غير أن قناة الجزيرة لم تجد غضاضة فى استخدام كلمة غزو فى غير موقع إذا دعت الحاجة لذلك، وبالغت الجزيرة فى استخدام هذا الوصف إثر استهداف مكتبها فى بغداد ومقتل مراسلها هناك.

"استشهد مراسل صحفى لقناة الجزيرة وأصيب المصور الصحفى زهير العراقى بجروح عندما قصفت طائرة أمريكية غازية مكتب الجزيرة فى بغداد...".

وقال تيسير علوانى: "إن القصف كان قريبًا جدًا من مكتب الجزيرة" عندما كان يجرى اتصالاً تليفونيًا مع مركز القناة فى قطر لنقل وقائع الغزو على بغداد، أذيع الخبر ظهيرة الثلاثاء ٢٠٠٣/٤/٨ إثر مقتل مراسل القناة طارق أيوب وقدمت القناة تقريرًا سابقًا لطارق كصورة مرافقة للخبر...

واستخدمت قنوات مثل أبو ظبى مصطلح "الحرب على العراق".. لكن قنوات فضائية حكومية مثل الفضائية المصرية والسورية والسودانية واليمنية وغيرها من المتعاطفين مع بغداد وصفوا ما يجرى بأنه غزو وأفرطوا أحيانًا فى الوصف...

بيد أن قناة الكويت الفضائية أصرت على وصف الحرب على أنها "تحرير" أو عملية تحرير العراق.. وأكثرت قناة فوكس نيوز أيضًا من استخدام هذا الوصف الذى أطلقه القادة الأمريكيون على العملية. Liberation of Iraq.

فدائيو صدام

فدائيو صدام هم قوة غير نظامية مكلفة بحماية الرئيس العراقى والتصدى لأعدائه. وهم كما يوحى التعبير بأنهم على استعداد لافتداء صدام بأرواحهم. ويقابل كلمة فدائيين فى الانجليزية. ويطلق عليها أحيانًا اسم مغاوير Commandoes

أكثر القادة الأمريكيون من استعمال هذه الكلمة فى تصريحاتهم لوسائل

الإعلام وهم ليسوا على دراية بمفهومها فى اللغة العربية، فالفدائيون هم الفلسطينيون الذين نفذوا عمليات ضد إسرائيل فى الستينيات، وكذلك مصريون قاتلوا الإسرائيليين فى سيناء وهى توحى بالبطولة والفداء.

وتحدثت تقارير إعلامية عن أن الأمريكيين ترجموا فى البداية وقد التبس عليهم الأمر "شهداء" ورددتها وسائل إعلام غربية وهى كلمة تحمل مدلولاً دينيًا. لكن وسائل الإعلام العربية بدون استثناء استخدمت هذه التسمية التى جاءت بذكاء كبير موحية بأن فدائيى صدام أصحاب قضية عادلة كالفدائيين الفلسطينيين.. ولم تتردد الفضائيات العربية فى استخدام الاسم على الرغم من إيحاءاته لأنها مجرد تسمية.

وتدخل مكتب الاتصالات العالمية الذى أنشأه البيت الأبيض لتحسين صورة الولايات المتحدة حول العالم بعد الحملات الدبلوماسية الشرسة والمظاهرات المعارضة للحرب على العراق التى جابت كبريات المدن العالمية...

وتنصب مهمة المكتب على أساليب تأثير اللغة فى تغيير الاتجاهات. ولذلك نصح العسكريون الأمريكيون بعدم استخدام كلمة "فدائيين" لوصف الميليشيات الموالية للرئيس صدام حسين التى يوحى معناها فى اللغة العربية بالبطولة والفداء...

وصدر توجيه يدعو إلى استخدام كلمات مثل "إرهابيين"، "سفاحين"، "فرق الموت"؛ لوصف فدائيى صدام.

وكان الهدف من وراء ذلك بالطبع هو فيما يبدو ربط صدام حسين بالإرهاب، فى محاولة لدمج الحرب على العراق فى الحرب التى تشنها الولايات المتحدة على الإرهاب بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر. إلى جانب إضعاف معنويات تلك القوات غير النظامية التى حاربت الأمريكيين بجرأة أخرّت معركة بغداد. وتقول صحيفة نيويورك تايمز "فوجئ المسئولون الأمريكيون بقوة الوحدات شبه العسكرية والميليشيات العراقية التى لم يؤخذ دورها فى الحسبان. كما أن حجم الخسائر التى أوقعتها تلك الميلشيات بالجيش الأمريكى وتصديها الجرئ له أصابتهم بصدمة". وهو أمر أدى إلى تغيير مسار الحملة البرية المتوجهة إلى بغداد وعرقلتها.

جاءت المصطلحات والتعبيرات المستخدمة فى القنوات الإخبارية الثلاث الأكثر مشاهدة وهى الجزيرة وأبو ظبى العربية نقية من مخلفات الماضىّ، ففى الحرب العراقية الإيرانية ١٩٨٠ – ١٩٨٨ كانت التغطيات الإعلامية بعيدة جداً عن الحياد، وأذكر أنه عندما كنا نقوم بإعداد الأخبار فى الإذاعة المصرية وبعدها التليفزيون كنا نقوم بالتعامل مع البيانات العسكرية الواردة من بغداد وطهران كالتالى: البدء

بالبيان العراقى وإبرازه، ثم بعد ذلك الإشارة إلى البيان الإيرانى فى ذيل الخبر.. مع استخدام ألفاظ مثل زعم وادعى وهى ألفاظ توحى بالتشكيك فى معناها باللغة العربية.. ولم تستخدم كلمة قال إطلاقًا..

وكان يتم التعامل فى معظم الأحيان مع الأخبار الواردة من إسرائيل بهذا الشكل حتى وقت قريب.

مقاوم أم إرهابى

بعدما ازدادت شراسة مقاومة القوات غير النظامية العراقية للقوات الأمريكية التى كانت تشق طريقها إلى بغداد بشق الأنفس فى الأسبوع الثانى للحرب. برزت كلمة مقاومة "Resistance" لوصف تلك الميليشيات من قبل وسائل الإعلام.. واستخدمتها وسائل إعلام وقنوات فضائية عربية أيضًا فى الفترة التى تلت سقوط بغداد فى أيدى الأمريكيين. إلا أن خبراء إعلام غربيين رصدوا توجه وسائل الإعلام الأمريكية إلى استبدال هذا الوصف بآخر مثل "أنصار صدام حسين" "العنيدين" "أنصار النظام" أو "المقاتلين البعثيين".

ويوضح جيرى إيساكس: "إن هذه اللغة كانت مخططة لتثير فى أذهان العامة الفكرة التى تقول إن جميع الذين يعارضون الغزو الأمريكى للعراق كانوا متورطين فى السياسات القمعية للنظام، ومن ثم فإنهم يستحقون الموت.

وتشير دكتورة چيهان رشتى أستاذ الإعلام فى جامعة القاهرة فى لقاء مع تليفزيون الشارقة بقولها "لدى الأمريكيين القدرة على التسمية فمثلاً من يحارب إلى جانبهم يصبح مجاهدًا (المجاهدين الأفغان)، ومن يحارب ضدهم يصبح إرهابيًا، وهذه التسميات تؤثر كثيرًا فى المتلقى واتجاهاته".

على الجانب الآخر يرى سلامة نعمات من صحيفة الحياة اللندنية الصادرة باللغة العربية أن القنوات الفضائية العربية متهمة بعدم التفريق بين المقاومة والإرهاب مدللاً فى ذلك الشأن بنسبة بعض الفضائيات العمليات التى استهدفت الشرطة العراقية فى ظل الاحتلال الأمريكى إلى المقاومة أو على الأقل عدم توضيح ذلك أو إلقاء الضوء عليه.

غير أن وزارة الدفاع الأمريكية ترفع سقف المطالب كثيرًا عندما تصف كل من يقاوم قواتها فى فترة ما بعد الاحتلال بأنه إرهابى وطوال فترة حصار الفلوجة أطلقت وزارة الدفاع الأمريكية اسم الإرهابيين على المسلمين المتحصنين بالمدينة للدفاع عنها..

ولاستدراج وسائل الإعلام الغربية حاولت الربط بينهم وبين أبو مصعب الزرقاوى الذى ظهر على مسرح العمليات فى العراق من خلال خطف الرهائن الأجانب، ثم حرصت وسائل الإعلام الأمريكية على الربط بينه وبين القاعدة للإيحاء للمتلقى بأن من يقاوم الاحتلال الأمريكى البريطانى هو إرهابى.

وحاولت قنوات عربية فضائية الإفلات من هذا الفخ مثل قناة العربية باستخدام وصف "مسلحين عراقيين" وليس مقاومين أو إرهابيين عند الحديث عن العمليات التى يدور حولها علامات استفهام مثل تلك التى وقعت ضد الشرطة العراقية.

مراسلون مرافقون (مدمجون)

آلت الاستراتيجية الإعلامية للإدارة الأمريكية في نهاية الأمر إلى وزارة الدفاع "البنتاغون" بعدما كاد البيت الأبيض أن يغلق كل قنوات الإعلام غير الرسمية. ولتغطية الحرب على العراق تفتق ذهن مسئولى البنتاغون عن خطة لإلحاق الصحفيين والمراسلين بالقوات الأمريكية المتقدمة تحت اسم "الصحفيين المدمجين"، وهذا يتيح للمراسل معايشة القوات الأمريكية لحظة بلحظة والاندماج مع الجنود فى مخابئهم. وتم دمج أكثر من خمسمائة مراسل فى الوحدات القتالية الأمريكية والبريطانية. وباتوا يرافقونهم فى أكلهم ونومهم وتحركاتهم بدرجة لا سابق لها فى تاريخ التغطية الإعلامية.

الصحفيون ارتدوا الألبسة الواقية من الرصاص ومن أسلحة الدمار الشامل وحملوا معهم أجهزة كمبيوتر وأنظمة اتصالات وهواتف مرئية وهى تعمل عبر الأقمار الاصطناعية.

غير أن القوات الأمريكية لم توفر الإقامة والحماية المجانية للمراسلين إلا لسبب فى نفس يعقوب وهو تغطية الحرب من وجهة النظر الرسمية الأمريكية. كان المطلوب من المراسلين الصحفيين التركيز على حياة الجنود والعمليات التى يسمح لهم بالاطلاع عليها فقط وعدم الانجرار وراء غرائزهم الصحفية.

وأعاد الأمريكيون الرقابة العسكرية البائدة إلى الصحافة. لم يفلح المراسلون فى الحصول على المعلومات الكافية حول العملية العسكرية. وعندما يتعلق الأمر بالتفاصيل أو حتى الخطة العامة للقوات المهاجمة فإنهم لم يحصلوا على شىء.

وعندما شعر المراسلون بأنهم باتوا أسرى المخابئ والملاجئ مع القوات المتقدمة حاول البعض منهم التحرك بطريقته الخاصة لاصطياد المعلومة واستيضاح الخبر وإبعاد شبح البطالة الذى بات يخيم عليهم. وكان رد فعل العسكريين الأمريكيين قاسيًا، فتم الاعتداء على صحفيين وإبعاد نحو ستين منهم. إلا أن المراسلين الأمريكيين كانوا أكثر انضباطًا، فقد كانوا يشكلون نحو عشرين فى المائة من عدد الصحفيين المرافقين للقوات. وكانوا أكثر التزامًا بالتوجيهات التى أصدرتها القوات الأمريكية وهى تدعو لعدم تحديد مواقع القوات أو حجمها.. لكن ربما يكون الحديث عن الأداء

السيء للقوات الأمريكية والبريطانية في الأيام الأولى للحرب على العراق جعل القادة الأمريكيين يضيقون ذرعًا بالمراسلين.

كان العديد من الصحفيين الأمريكيين أكثر تعاطفًا مع قوات بلادهم وربما حاولوا إفشاء نوع من الرقابة الذاتية في أوساط المراسلين المرافقين للقوات، فدعا أحدهم إلى عدم الحديث عن المشاكل التقنية التي تواجهها المروحية الهجومية الأمريكية أباتشي إلى ما بعد انتهاء الحرب. إلا أن الأداء السيء للأباتشي تحدث عنها إلى حد الترويج لقصة المزارع العراقي الذي أسقطها بطلقة من بندقيته العتيقة. ولعب التليفزيون العراقي جيدًا عندما صور المزارع وهو يبتهج ويصرخ وخلفه الطائرة رابضة في حقله. ولا يعرف بوضوح ما إذا كان قد أسقطها بالفعل كما أكد في تصريحات قبل سقوط النظام أم أن المشاكل التقنية أسقطتها وتخيل هو ذلك أو أجبر عليه؟!!!

المراسلون المدمجون من العرب لم يتأقلموا كثيرًا مع القوات الأمريكية البريطانية، وربما اكتفى البعض منهم بخوض رهبة تجربة البقاء في ساحة المعارك أو كانوا ملكيين أكثر من الملك، إلا أن البعض اشتكى في برامج تليفزيونية من تعرضه لمضايقات الأمريكيين.

وأبدى عمرو الكحكي مراسل قناة الجزيرة الإخبارية تبرمه من محاولات قوات التحالف البريطاني الأمريكي التدخل في عمله، ويقول في برنامج ما وراء الأحداث الذي عرضته الجزيرة "كانوا يريدون منا أن نغطي الجوانب الإنسانية (للقوات الأمريكية) لكن عيننا الصحفي يمكن أن تنقل ما تشاء".

غير أن زميله في قناة أبو ظبي الذي أدمج أيضًا بالقوات البريطانية هاشم أهل بره، يرى أن للتجربة إيجابيات كثيرة وذكر لي أن من بينها التعامل مع أجواء الحرب الحقيقية عن كثب ومعايشة القصف والهجوم؛ وبالطبع يمكن ذلك الوضع المراسل من التعبير عما يحدث في أرض المعركة. ويرى أن بإمكان الصحفي أن يختلط بالجنود ويتعرف على ظروف عيشهم ومشاكلهم. بيد أن هاشم يرى أن للتجربة سلبيات منها القيود المفروضة على حركة الصحفيين وعدم توافر المعلومات ووجود الرقابة على المعلومات التي تهدد حياة الجنود وتحركاتهم العسكرية.

وصلت مضايقات القوات الأمريكية للصحفيين المرافقين إلى حد بعيد عندما منعوهم من استخدام الهواتف عبر الأقمار الصناعية من طراز "الثريا"، وهو طراز ينطلق من دولة الإمارات العربية (الشارقة) ويديره كونسورتيوم دولي ويغطي مائة دولة في منطقة الشرق الأوسط والدائرة القريبة منها.

علل الجنرال فيكتور رينوارت فى قاعدة السيلية بقطر الإجراء بأنه يتعلق بأمن العمليات الحربية. وقال إنه يتعين فى بعض الأحيان التأكد من عدم وجود أى اتصالات لحماية تحركات الصحفيين والقوات.

وربما يكون الأمريكيون محقون فى محاولاتهم تأمين تحركاتهم؛ إلا أن شبكة الاتصالات والتنصت العراقية كانت فى حال يرثى لها. وتعرضت لهجمات جوية متواصلة منذ بداية العمليات لإصابتها بالشلل. ولكن ماذا بإمكان المراسل أن يعمل إذا حكم عليه بعدم الاتصال بوسيلته الإعلامية؟!

مضايقات الأمريكيين للمراسلين طالت أقرب حلفائهم وهم الإسرائيليون. ويحكى مدير قسم الأخبار فى التليفزيون الإسرائيلى دان سمماه تجربته خلال تغطيته للحرب "كنت خائفًا من المراقبين والمتطرفين العرب فى الكويت أو فى دول أخرى مجاورة. لكن فى أسوأ أحلامى لم أتوقع أن يكون عنائى وعذابى على يد الأمريكيين" وأضاف يحكى تفاصيل حكايته لوسائل الإعلام الإسرائيلية "طلبوا منا أولاً أن نخلع قمصاننا، وفتشونا بدقة وشكل مهين. ثم أخضعونا لعملية تفتيش مهين. وصادروا كل أدوات العمل التى نملكها – كان يصف ظروف اعتقاله وثلاثة من الصحفيين الإسرائيليين – وراحوا يقولون لنا إننا جواسيس للعراق. وأجبرونا على الركوع على الأرض. وهددنا قائد الفرقة الأمريكية بالقول: "جنودى مدربون ككلاب الحرب. إنهم فنانون فى القتل"، ورغم أننا قدمنا لهم كل الوثائق التى تثبت جنسيتنا البريطانية والبرتغالية؛ إلا أن الضابط أمر جنوده بأن يبقونا فى مكان قريب لمرمى الرشاشات النارية لمدة ست وثلاثين ساعة متواصلة". ولم يتم الإفراج عن الصحفيين سوى بعد قيام وزير الخارجية الإسرائيلى سلفان شالوم بالاتصال بالإدارة الأمريكية.

الصحفيون الإسرائيليون أخطأوا لأنهم لم يسجلوا بين الصحفيين المدمجين، وبذلك لم يكن بحوزتهم تصاريح من قوات التحالف لتغطية الحرب. ويقول مراسل صحيفة "يديعوت أحرونوت" "الإسرائيلية" إن الأمريكيين لا يريدون صحفيين مستقلين فى العراق. يريدون صحفيين يرافقون القوات الأمريكية فقط، ، لأنهم يخشون من نقل هؤلاء الصحفيين لآراء أو شكاوى الجنود فى الميدان. وكان الصحفى الإسرائيلى "بوعاز بيسمون" قد وصل مع زميل له إلى العراق بشكل مستقل والتقيا بزميلهما "سمماه".

ويبدو أن الأمريكيين قد ضاقوا ذرعًا من التحليلات التى توردها الصحافة والقنوات التليفزيونية الإسرائيلية التى ركزت على الثغرات والأخطاء فى الخطط الحربية الأمريكية البريطانية.

وكانت وسائل الإعلام الإسرائيلية تحاول إغواء الأمريكيين وحضهم على إبادة فرق الحرس الجمهوري العراقي، ووصل بعضهم إلى حد التسليم بضرورة إلحاق خسائر في صفوف المدنيين كضرورة للتخلص من نظام الحكم في بغداد الذي كان يناصب الإسرائيليين العداء.

اندمج الصحفيون الأمريكيون مع قوات بلادهم إلى حد أن استخدم بعض المراسلين الأمريكيين كلمة "نحن" للحديث عن العسكريين الأمريكيين مبتعدين بذلك عن الموضوعية.

بيد أن مراسلين محنكين من الولايات المتحدة يدلون بشهادة في غير صالح وزارة الدفاع الأمريكية، ويقول مراسل شبكة "سي. بي. إس" "آندي روني" الذي طار خلال قصف أهداف ألمانية خلال الحرب العالمية الثانية عندما كان مراسلاً حربيًا مستقلاً بطبيعة الحال يقول: "إن مصاحبة القوات في الخطوط الأمامية يمكن أن تؤثر على حكم المراسل وتقييمه لما يجري. فمن الصعب أن يكتب الشخص أي نقد حول شخص سيتناول معه الإفطار صباح اليوم التالي".

ويستكمل رفيقه من نفس الشبكة "مورلي سيفر" الذي عمل أيضًا مراسلاً حربيًا خلال حرب فيتنام قائلاً: "إن القيود التي يفرضها البنتاغون على المراسلين المرافقين للقوات لا تسمح بحرية الحركة والتنقل، على عكس ما حدث في فيتنام؛ فقد كان وفريق التصوير يصعدون على متن أي مروحية عسكرية فقط بطلب من طاقمها وكانوا في غالبية الأحوال يدخلون قلب المعركة.

ويبدو أن وزير الدفاع "رامسفيلد" استفاد من أخطاء سلفه "ماكنارا" الذي كان وزيرًا للدفاع خلال حرب فيتنام، حيث أدت تغطية الحرب الأكثر حيادًا إلى تأليب الرأي العام الأمريكي الذي شاهد على شاشات التلفاز بشاعة الحرب وآثارها على الجانبين فاضطر البنتاغون للرضوخ وقبول الهزيمة على أرض الواقع.

إلا أن الصورة لا تبدو بهذه القتامة فوجود المراسلين مع القوات المتقدمة يتيح للكثير منهم الاطلاع عن كثب على سير العمليات العسكرية. ويقول الصحفي الفرنسي "كارل مالاكوناس" الذي رافق الفرقة مائة وواحد الأمريكية المجوقلة ومنحه الأمريكيون فرصة للتحليق بمروحيات "بلاك هوك" إنه يمكن أن يعطي صورة أكثر شمولاً ويغطي قرى ومدنًا كانت في وسط النزاع. غير أنه يستدرك قائلاً: "إن دمجي في القوات لا يسمح لي بتغطية الجانب الآخر وهو الضحايا الذين يسقطون من جراء القصف الجوي".

ويزيد على ذلك حاييم بريشيت أستاذ الإعلام والثقافة بجامعة شرق لندن أن المراسلين الغربيين عمومًا كانت تنقصهم الاستقلالية والتحليل العميق فى نقلهم للحرب على العراق.

"أشعر وللأسف أن الصحفيين خدعوا عامة الناس فى هذه الحرب إذ اتبع معظمهم الخط الرسمى دون تحليل كبير وكانوا يصفون الحرب وتفاصيلها كما لو كانت مباراة فى كرة القدم بين فريقين كان معروفًا مسبقًا أن أحدهما سيفوز، إذ كان الانطباع أن هدفًا قد سجل اليوم فى البصرة وآخر فى بغداد بدل الحديث عن عدم توفر أدلة وجود أسلحة الدمار الشامل ولم يشر الصحفيون إلى أنه إلى اليوم لا تزال الولايات المتحدة الأمريكية ترفض السماح للأمم المتحدة بالتحقق من الأقوال عن وجود أسلحة الدمار الشامل فى العراق... المقلق أكثر هو أن الصحفيين من كافة الجنسيات خاصة الأمريكيين والبريطانيين يقبلون الدعاية التى تبثها الولايات المتحدة وبريطانيا بشكل لم يقبلوا به الدعاية أثناء حرب فيتنام وهم الآن ينتقدون حكوماتهم. ولكن بعد الحدث.

... هناك حقيقة أن بلدًا بكامله دمر ويعيش الآن مواطنوه ظروفًا شبيهة بالعصور الوسطى.. هجمات الحادى عشر من سبتمبر على الولايات المتحدة كانت لها مضاعفات خطيرة على الصحافة الغربية وطريقة نقلها لأخبار العالمين العربى والإسلامى.

فئات المراسلين

- **مراسل/ صحفي – حر أو طليق** Free Lance/ Reporter Journalist

وهو صحفي يمد المؤسسات الصحفية والإعلامية بنتاج قلمه من غير أن يكون محررًا رسميًا فيها...

- **مراسل/صحفي – مستقل** Independent/ Reporter/ Journalist

وهو يعمل لصالح مؤسسة إعلامية ويغطي أنباء الحرب، ولكن دون أن يكون متمتعًا بحماية أي من القوات المتحاربة.

- **مراسل/ صحفي – مدمج** Embedded/ Reporter/ Journalist

وهو صحفي يتم إلحاقه بقوات أحد الأطراف المتحاربة ويحظى بحمايتها، ولكنه يقع تحت قيودها.

- **مراسل / صحفي – جوال** Roving/ Reporter/ Journalist

وهو صحفي، مراسل، يعمل خلف صفوف القوات المتحاربة ولا يحظى بحماية أي منها أو يتعرض لقيودها وهو لا يغطي تفاصيل المعارك، ولكن ينقل صورة من أرض الواقع والسكان. وينتقل من موقع لموقع ربما ضمن فريق كامل.

- **الصحفيون الجوالون (الطوافون):** Roving Reporters

أرسلت الشبكات والقنوات الإخبارية مراسلين مستقلين للعمل بعيدًا عن القوات الأمريكية البريطانية كي يتمتعوا بالاستقلالية بعيدًا عن القيود التي تفرض على الصحفيين المدمجين المرافقين لتلك القوات. إلا أن العمل في مثل هذه الأجواء يجلب المزيد من الأخطار.. ففي بداية الحرب على العراق قتل المراسل تيري لويد Terry Loyd من قناة ITN التليفزيونية البريطانية وأيضًا مصور استرالي يدعى بول موران Paul Moran. إلا أن أجهزة الإعلام المختلفة ترى أن للصحفيين (المراسلين) المستقلين (الجوالين) دورًا يختلف عن دور الصحفيين المدمجين مع القوات البريطانية الأمريكية؛ فالصحفي المدمج يتحدث عن تفاصيل ما يحدث في أرض المعركة، أما زميله المستقل فهو يعمل في الخطوط الخلفية. ويلخص مايكل سكوت Michael Scott من وكالة رويترز. هذا الدور في كلمات "نرى أن دور المراسلين المستقلين يتمثل على نحو متزايد في الإطلاع على الأوضاع على أرض الواقع والتحدث مع المدنيين. إن دورهم لا يختص

بالحديث عن المعارك. وهؤلاء يعملون خلف خط القتال".

وكانت رويترز قد نشرت فريقين من المراسلين الجوالين فى جنوب العراق إلى جانب ثلاثة فرق فى شمال العراق، فضلاً عن تسعة عشر صحفيًا – عراقيًا وغير عراقى – يعملون فى بغداد. وتم تزويد تلك الفرق بخمس سيارات مدرعة وجواكيت مضادة للرصاص "Flak Jackets" بالإضافة إلى وضع علامات واضحة تشير إلى مهنتهم.

ويدلل على خطورة مهمة المراسلين الجوالين التحذير الذى وجهته وزارة الدفاع الأمريكية بعد أسبوع من بدء الحرب فى العراق إثر مقتل تيرى لويد Terry Loyd الصحفى المستقل "إذا ما أردت الأخذ بنصيحتنا فإننا نقول لك لا تذهب إلى تلك المنطقة. ويوجه خاص الصحفيون الذين يعملون بأجندة خاصة ويتخذون قرارهم بأنفسهم. أقول لا تذهبوا إلى هناك".

ولأن منهج وزارة الدفاع الأمريكية كان يتمثل فى تدجين المراسلين من خلال مرافقتهم لتلك القوات، وذلك منذ وقت مبكر قبل بداية الحرب فقد أكد المتحدث على الحماية التى يحظى بها الصحفيون المدمجون مع القوات الأمريكية والبريطانية. "تتحمل القوات درجة عالية من المسئولية بالنسبة لرعايتهم".

إلا أنه على الرغم من المخاطر التى يتعرض لها المراسلون المستقلون (الجوالون) فإنهم يصبحون أكثر فائدة بالنسبة لمؤسساتهم ومحطاتهم عما يكون عليه الأمر بالنسبة للمراسلين المدمجين، ودلل على ذلك الأمر ما حدث فى حرب الخليج الثانية فى عام ١٩٩١؛ عندما أخفق الصحفيون المدمجون فى الحصول على معلومات مهمة عن سير العمليات فانفردت محطة C.N.N الإخبارية الأمريكية بتغطية العمليات العسكرية بالصوت والصورة، وغابت المحطات الإخبارية الأخرى لاعتمادها على المراسلين المدمجين الذين عانوا من القيود العسكرية المختلفة.

التغطية المباشرة ودور الصورة

Live Coverage

كان لقناة سى. إن. إن الإخبارية الأمريكية ضربات وخبطات صحفية فى حرب الخليج الثالثة بعد أن كانت فرس الرهان فى الحرب الثانية. فلا يمكن لمشاهد مدقق أن ينسى تلك الصور التى نقلتها كاميرا سى. إن. إن على الهواء من تخوم مدينة تكريت عندما تجولت الكاميرا مع المراسل الشهير باتريك سيل فى قاعدة مهجورة.. ووصفت وكالات الأنباء الحدث قائلة سى. إن. إن تستولى على قاعدة عسكرية فى تكريت مسقط رأس الرئيس العراقى صدام حسين... لم تكن القوات الأمريكية أو لنقل قوات التحالف كما يحلو للبعض أن يصفها قد دخلت المدينة التى أشيع أنها محصنة، وأن الرئيس العراقى صدام حسين وقيادات البعث ربما يكونوا متحصنين بها..

ويبلغ المشهد ذروته عندما تعرض موكب القناة لإطلاق نار لدى محاولته دخول المدينة... هذه المشاهد نقلتها جميع القنوات التليفزيونية وصورت بكاميرا داخل سيارة باتريك سيل التى كانت متحركة طوال الوقت.

وربما تكون هذه المشاهد قد حشدت عزم الأمريكيين الذين كانوا قد دخلوا بغداد لتوهم دون معركة فاصلة كما كان يعتقد لمهاجمة تكريت بدون صعوبة بعد أن خشى بعض الخبراء العسكريين من أن تكون المعركة الفاصلة قد نقلت من بغداد إلى تكريت.. تلك المشاهد أكدت للكثير من الخبراء والمحللين أن الحرب لن تطول داخل العراق.. وهى تدلل على أن الصورة المتحركة قد باتت تحظى بأهمية كبرى لدى الجانب العسكرى فقد منحت الجانب العسكرى الأمريكى الكثير والكثير! فقد كان فريق عمل سى. إن. إن عبارة عن فريق استطلاع عسكرى يكتب تقريره على الهواء مباشرة بعدسة الكاميرا وجنب القيادة الأمريكية الكثير من الأعباء مثل إرسال قوة استطلاع إلى مشارف المدينة وحشد قوة كبيرة حولها لمحاصرتها كما حدث مع المدن الأخرى.

ومن جانب آخر بينت مدى السوء الذى بات عليه العتاد والسلاح العراقى عندما

استعرضت الكاميرا الكثير والكثير (العديد) من الدبابات والعربات المجنزرة والشاحنات التى كانت موجودة بالقاعدة وقد تحولت لمجرد خردة، وربما لو تم رصدها جوًّا أو من قبل رجال الاستطلاع لما تمكنوا من معرفة أنها معطوبة واختلفت الحسابات العسكرية...

دور استطلاعى آخر لعبته كاميرا سى. إن. إن بعد سقوط بغداد عندما رصدت القناة التى كانت نشطة فى تغطية أحداث الشمال حيث تعيش الأغلبية الكردية.. رصدت عدسات الكاميرا المئات من الجنود العراقيين الذين اغتنموا فرصة الليل وستره واستبدلوا الزى العسكرى بآخر مدنى وفروا من مواقعهم العسكرية لدى خطوط القتال فى الشمال، وكانت كاميرا سى. إن. إن لهم بالمرصاد فى صباح اليوم التالى لسقوط بغداد.. وفى لقاءات سريعة مع الجنود الفارين من معسكراتهم اعترف البعض منهم بأنهم اكتشفوا فجأة أن الضباط قد فروا من مواقعهم تحت ستار الليل..

كان المشهد مخزيًا وربما يبعث على الشفقة وقدم الشريط المصور أو بالأحرى التغطية المباشرة معلومات فورية ومجانية للقادة الأمريكيين حول معنويات جنود العدو وتأكيدات حول حالته العسكرية أو لنقل تغطية حية لسقوط جبهة الشمال العراقية دون أى قتال بعد انهيار معنويات الجنود بعد فرار قادتهم.. وهى معلومات لم تتوفر فى أى حرب سابقة على الإطلاق وربما تكون الفضائيات – الأمريكية بوجه خاص – قد لعبت دورًا كبيرًا فى مجريات الحرب لصالح قوات الغزو على الرغم من تشدقها بشعارات مثل الحياد والموضوعية... لكن المشاهد كان الفائز الأكبر فى نهاية الأمر، فما بثته سى. إن. إن من جبهة الشمال وتكريت على الهواء مباشرة نقلته عنها معظم القنوات العربية والغربية ووكالات الأنباء المصورة....

وربما كان بإمكان القنوات العربية أن تغير من سير المعارك سلبًا أو إيجابًا من خلال تغطياتها المباشرة لسير المعارك بالمدن العراقية، ولنرى ذلك فى قناة أبو ظبى التى كنت أعمل بها رئيسًا لتحرير النشرات الإخبارية.. فبعد يومين من المعارك أعلن الأمريكيون أنهم استولوا على ميناء أم قصر وأنهم يطوقون البصرة.. ومع تقدم القوات الأمريكية إلى الشمال تمكن فريق العمل الخاص بأبو ظبى من اجتياز الحدود الكويتية بعد أربعة أيام من بدء المعارك إلى داخل الأراضى العراقية وشعرنا جميعًا بالنشوة؛ لأنه سيصبح بإمكاننا الحصول على صور ربما ننفرد بها لأن المنافس التقليدى وهو الجزيرة غائب عن الكويت لعدم السماح له بالعمل من هناك.

وبينما كان الزميلان الصحفيان المرافقان لسيارتنا التى بها جهاز S.N.G الذى

يستطيع إرسال الصور على الهواء، بينما كانا يرويان لنا على الهواء ما يرونه سمعنا من خلفهما صوت اشتباكات عندها طلبت منهما عبر الهاتف أن يطلبا من المصور تركيز الكاميرا على مشهد المعارك، وظللنا نحو ساعتين على هذا المنوال ومعظم القنوات الفضائية تنقل من قناة أبو ظبى الصورة وكان الموفدان – عبد الرحيم البطيخ وأشرف – مغنا بالصوت فقط ومن داخل الأستديو العميد السابق فى الجيش المصرى المحلل العسكرى لقناة أبو ظبى صفوت الزيات ذلك الرجل الرائع الذى كان يضع الرتوش اللازمة لتكتمل الصورة..

استخدام المروحيات والاشتباكات التى نقلها فريقنا على الهواء أثبتت للجميع ولأول مرة زيف الادعاءات البريطانية الأمريكية حول سير المعارك، فقد كذبت الصورة الإعلان الرسمى الأمريكى بالاستيلاء على مدينة وميناء أم قصر وربما رفع ذلك من معنويات العراقيين وأدى لخفض الروح المعنوية لدى القوات الغازية..

صورة أخرى نقلتها قناة أبو ظبى فى اليوم العشرين للحرب (الثلاثاء ٨/٤/٢٠٠٣) وهى صورة دبابتين أمريكيتين عبرتا جسر الجمهورية على نهر دجلة بقلب بغداد.. قطعت الدبابتان منتصف الجسر وترددتا فى العبور إلى الناحية الأخرى على الرغم من الغطاء الجوى والقصف المصاحب لأى مصدر لإطلاق النار.. كانت صورة كفيلة بتأكيد مزاعم الأمريكيين بأنهم باتوا فى قلب بغداد وكانت كفيلة بإضعاف الروح المعنوية للعراقيين وتأكيداً قوياً على هشاشة خطة الدفاع التى وضعت للدفاع عن المدينة، ولكن الأمريكيين رغم ذلك قصفوا مكتب قناة أبو ظبى بعد قصف مكتب قناة الجزيرة وتوقف البث المباشر...

لكن المحلل السياسى منذر سليمان الذى يعيش فى الولايات المتحدة ويظهر على عدد من الفضائيات العربية يرى أن الجميع فشل فى تقديم صورة كاملة عما يجرى فى أرض الواقع، فالبعض مقيد الحركة فى دائرة جغرافية لا تمكنه من التفاعل الحر مع شعب يواجه غزواً. والبعض الآخر مقيد فى نطاق الحركة المسموح بها برفقة القوات الأمريكية ويقدم شريحة منفصلة وضيقة عما يجرى فى الميدان.

ويقول فى لقاء مع صحيفة البيان عقب الحرب: "فشل أيضاً زملاء المراسلين القابعين فى مراكز المحطات الفضائية فى ربط المشاهدات المبتورة التى تردهم لتقديم صورة شاملة ومتكاملة. فكأن البث الحى لمشاهد القصف الجوى والصاروخى أضحى هدفاً فى حد ذاته".

ويمكن الرد على هذه المقولة بأن المحللين العسكريين فى الأستوديو تمكنوا لحد

ما من ربط تلك المشاهد المبتورة وحاولوا تقديم صورة شاملة لما يحدث على جبهات القتال. فالعميد صفوت الزيات المحلل العسكرى لقناة أبو ظبى كان يقدم معلومات متدفقة عن طبيعة المعارك والأسلحة المستخدمة، فعندما نقلت القناة على الهواء معركة أم قصر كان الرجل يربط المشاهد ويعرف للمشاهد نوعية الأسلحة والذخائر والتكتيكات المستخدمة فى الهجوم وتمكن من توضيح الصورة فى هذه المعركة واجتهد وزملاؤه فى توضيح الصورة فى باقى المعارك.

المصورون الصحفيون

Cameramen

لعبت الصورة دورًا كبيرًا فى حرب الخليج الثالثة وحشدت المشاهدين حول القنوات التليفزيونية لدرجة أنها جعلت أركان الإدارة الأمريكية يجأرون بالشكوى فى مؤتمراتهم الصحفية بدءًا من وزير الدفاع وصقور البنتاغون مرورًا بوزارة الخارجية انتهاءً بالرئيس چورچ بوش وانصبت جل الشكوى على تغطيات قنوات فضائية مثل الجزيرة والعربية.. وتعرضت الجزيرة لحملة متواصلة تعرض لها فى موقعها...

سجلت القنوات الفضائية العربية نقاطًا ألهبت الرأى العام ضد التحالف الأمريكى البريطانى؛ فمشهد الأسرى الأمريكيين الذى عرضته قناة الجزيرة خلال الحرب جاء ضربة موجعة للأمريكيين الذين كانوا يعانون أصلاً من هبوط الروح المعنوية بسبب بطء التقدم على جبهات القتال، ودار حديث كثير حول اتفاقيات چنيف.. انضمت عواصم أوروبية أخرى لتندد بإظهار وجوه الأسرى الأمريكيين على شاشات التلفاز..

على العكس من ذلك لم يتحدث أحد سلبًا أو إيجابًا لدى عرض الأمريكيين صور فيديو للرئيس العراقى صدام حسين لدى أسره بطريقة مهينة؛ خاصةً وأن الأمريكيين اعترفوا لاحقًا بأن صدام يحظى بوضع أسير حرب...

خبطة أخرى حققتها الجزيرة وتبعتها فضائيات أخرى وهى عرض صورة طفل عراقى ظهر سليم الجسد لكن الجزء الأخير من رأسه ونصف وجهه قد ضاعا.. تبع ذلك عرض صور ضحايا الحرب من المدنيين العراقيين وهو أمر تجاهلته وسائل الإعلام الأمريكية، وهو أمر أثار الرأى العام فى أوروبا بوجه خاص ضد بشاعات الحرب التى كانت تعارضها منذ البداية الفعاليات الشعبية ورجل الشارع فى أوروبا والعالم...

كان هناك الكثير من الصور ولقطات الفيديو الثابتة وبرع التليفزيون الحكومى العراقى بدوره وقدم عدة خبطات منها صور الأسرى الأمريكيين، وصورة لقروى مسن وهو يقف فخورًا حاملاً بندقيته العتيقة وهو يحكى قصة إسقاطه طائرة أباتشى العمودية، التى تعد أحدث المروحيات القتالية الأمريكية وبدت الطائرة رابضة بجانبه

فـى أحـد الحقـول.. عـززت الصـورة التقـارير التـى وردت عـن الأداء السـيء لتلك الطـائرة التـى سـقط عـدد منهـا خـلال المعـارك بـنيران أسـلحة خفيفـة.. وكـانـت وزارة الـدفاع الأمريكية قد طالبت الصحفيين الأمريكيين بالكف عن كتابة أى أخبـار عـن الأداء السـيئ لهـذا النـوع مـن المروحيـات التـى تـتمكـن مـن التحليـق علـى مسـافات شـديدة الانخفاض تمنحها المناورة لقصف تجمعات العدو.. ولكن الصورة وإخراجهـا عـززا هـذا الاتجاه على الرغم من التشكيك فى صحة رواية القروى.

عنـدما اكتشـفت الكـاميرات الفوتوغرافيـة فـى عـام ١٨٣٩ أصـبحت الصـورة الفوتوغرافية بمثابة دليل دامغ على الفظاعات التى ترتكـب فـى الحروب ودليلاً موثقًا لمجرياتها. وتم الإقلاع عن استخدام الرسوم التقليدية التى كـان يقـوم بتنفيذها فنانون من جانب هذا الطرف أو ذاك، وكان الفنان بالضـرورة واقعًـا تحـت تـأثير هـذا الطـرف أو ذاك.. غير أن الصورة الزيتية أيقظت الضمير الإنسانى عبر التاريخ فـلا يمكـن لنـا أن ننسى أعمال الفنان "جاك كالوت" التى صورت فى عدة لوحات الجنود الفرنسيين وهـم يقومون بأعمال فظيعة من قتل وتعذيب للمدنيين فى لورين خلال حرب عام ١٦٣٣.

كما لا يمكن أن ننسى مجموعة الفنان "جويا" التى تربو على الثمانين لوحة، وهـى تصور الفظاعات التى ارتكبها الجنود الفرنسيين ضد المدنيين الإسبان فـى عـام ١٨٠٨ تحت قيادة نابليون بونابرت.

ومن يرجع إلى الوراء يجد أن الرومان ومن قبلهم الإغريق والبابليين وقدماء المصريين قد خلدوا حروبهم فى جداريات ازدانت بها المعابد والقصور..

بيد أن الصورة الفوتوغرافية والتليفزيونية (الفيـديو) التـى وصـفت بأنهـا لا تكـذب؛ لأن عدسـة الكـاميرا ترقـى لأن تكـون عـين الحقيقـة تم توظيفهـا خـلال الحـرب علـى العراق وبدت منحـازة لهـذا الطـرف أو ذاك بعـد أن ركـز هـذا الطـرف علـى بـث صـور تخدم مصالحه وأهدافه وحجب الأخرى، فلم تعـد الصـورة بريئـة حياديـة كمـا يـراد لهـا دائمًا فالتعليق المصاحب للصورة ربما يغير من حقيقتها..

ومن أراد من المتابعين أن يشاهد الصورة كاملة كـان عليـه أن يلهـث متنقلاً مـا بـين الفضـائيات العربيـة التـى تنقـل جـزءًا مـن الصـورة والأمريكيـة التـى تنقـل الجـزء الآخـر وكل يدعى أنه ينقل الصورة كاملة. ولربما نقلها كمـا أراد لهـا مشـاهدوه أن تكـون، هذا إن أفلت من ضغوط وزارة الدفاع الأمريكية التى بدا أنها تتابع ما تبثـه الفضـائيات أكثر من متابعتها لمجريات الحرب فى ميدان القتال..

مصورون عسكريون

التصوير العسكري Combat Camera

كانت وزارة الدفاع الأمريكية على دراية كبيرة بالدور الذي يلعبه الإعلام، ولذلك انصب جل اهتمام وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد على إدارة المعركة الإعلامية فإلى جانب إدماج الصحفيين مع قوات بلاده؛ دفع بمائة وخمسين مصورًا عسكريًا إلى تلك الحرب. كان كل مصور يحمل نحو خمسين كيلوغرامًا من معدات التصوير، والمصورون ارتدوا الزي العسكري وكلفوا خلال هذه الحرب بمسح ساحات المعارك ومراكز اعتقال الأسرى والمهمات الإنسانية التي تقوم بها القوات الأمريكية. وكان المصورون العسكريون يكلفون فيما مضى بتصوير أحداث المعارك وتوثيقها. وتصوير جرائم الحرب بشقها الجنائي؛ فضلاً عن قيامهم في أحيان أخرى بمهام استطلاعية.. وكالعادة لا تنشر هذه الصور سوى بعد سنوات طويلة مثل تلك الأفلام والبرامج الوثائقية للحرب العالمية الأولى والثانية والحروب العربية الإسرائيلية وغيرها...

لكن الجديد في هذه الحرب هو أن البنتاغون أراد لهؤلاء المصورين أن ينافسوا مصوري القنوات الفضائية ويعرضوا صورهم بطريقة مباشرة على المشاهد العادي.

ويقول الليفتنانت كولونيل مايكل هالبيج مسئول العلاقات العامة في مقر القيادة العسكرية في السيلية بقطر: "إن الوقت أصبح يمثل تحديًا كبيرًا بالنسبة لنا فلو حدث أمر مهم ولم نتمكن من الحصول على الصور سوى بعد ثلاثة أيام فعندها ستكون الأخبار التي نقدمها أشبه برواية تاريخية للأحداث".

كانت الفضائيات التي تنقل الكثير من العمليات العسكرية وردود الفعل على الهواء مباشرة بمثابة تحد كبير لوحدة التصوير العسكري في أرض المعركة إلا أنها تمكنت بفضل التسهيلات المقدمة لها من جانب القوات الغازية من إنتاج حوالي ثمانمائة صورة فوتوغرافية وخمسين فيديو كليب يوميًا وتم تقديم نحو ثمانين في المائة من هذا الإنتاج لوكالات الأنباء..

وتمت الاستعانة بهذه الصور الحصرية Exclusive فى المؤتمرات الصحفية فى مقر البنتاغون وفى المؤتمرات الصحفية اليومية التى كانت تعقد فى مقر القيادة العسكرية فى السيلية فى قطر.

ما عرض من هذه الصور كان الحقيقة التى يرغب البنتاغون فى أن تكون، فغابت عن تلك الصور مشاهد قصف بغداد والانفجارات الناجمة عن ذلك، وصور الضحايا المغطاة بالدماء.

فلم تتوافر لوسائل الإعلام سوى صور الطائرات الأمريكية المقاتلة وعمليات إنقاذ الأسرى الأمريكيين والابتسامات التى علت وجوه عراقيين لدى استقبال القوات الأمريكية وعراقيين يحطمون صورًا جدارية وتماثيل لصدام حسين، ثم بعد ذلك صورًا لمساعدات قدمها الأمريكيون للعراقيين، وتحولت مهمة المصورين العسكريين إلى نوع من الدعاية التى تخدم وجهة نظر صقور البنتاغون وركز المصورون بأوامر وزارة الدفاع على إظهار العراقيين وهم يحاولون إخفاء أسلحتهم فى مناطق يقطنها مدنيون، والإيحاء بأنهم يستولون على مدارس الأطفال لجعلها مستودعات للذخيرة، وإظهار القوات العراقية بأنها شريرة فاسدة لا تأبه لسلامة أبناء شعبها المدنيين العزل.

ويبرر رئيس وحدة التصوير العسكرى ذلك بقوله: "إنها الطريقة التى يتم بها تحقيق التوازن مع ما كانت تبثه وسائل الإعلام الخارجى".

إلا أن هذه الطريقة التى كانت تدير بها وزارة الدفاع الأمريكية المعركة الإعلامية جوبهت بانتقادات حتى من داخل الولايات المتحدة نفسها فيقول لانس بينيت أستاذ العلوم السياسية فى جامعة واشنطن: "إن عمل هذه الوحدة يقلل من فرصة تقديم تصوير واقعى لظروف الحرب. هذه الحرب قصة كبيرة، ولكنها قصة يرويها نائب وزير الدفاع بول وولفويتز ووزير الدفاع نفسه دونالد رامسفيلد. وهما بالطبع حريصان على أن تخرج القصة بالطريقة التى تناسبهما".

ويبدو أن عقدة فيتنام التى خسرت فيها الولايات المتحدة الحرب بسبب وسائل الإعلام كانت ماثلة فى ذهن مسئولى البنتاغون وتؤرقهم كثيرًا..

سجل المصورون العسكريون خبطات صحفية كثيرة لعل أبرزها تلك الصور التى بثتها شاشات التليفزيون لعملية إنقاذ الجندية جيسيكا لينش التى وقعت أسيرة فى أيدى العراقيين بعد إصابتها فى تبادل لإطلاق النار. وتم توظيف هذا الشريط المصور بطريقة ناجحة جدًا فى وقت كانت تعانى فيه القوات الأمريكية من الإحباط بسبب بطء التقدم على الطريق صوب بغداد ووقوع أسرى وقتلى أمريكيين. أضاف

الأمريكيون رتوشًا كثيرة لتلك الصور فى الرواية المصاحبة للشريط التى صورت الجندية على أنها بطلة، وعملية الإنقاذ على أنها بارعة واتضح فيما بعد زيف الرواية – نعرض لذلك فى موضع آخر.

ربما كانت هذه هى الحرب الأولى التى يواجه فيها المصورون العسكريون مهامًا جديدة وأعباءً كبيرة تتمثل فى المنافسة مع المحطات الفضائية ووكالات الأنباء المصورة التى كانت تكثر من البث المباشر. وربما أبدت وحدة التصوير العسكرى الأمريكية ندمًا كبيرًا على الأيام الخوالى عندما كانت تحتكر وحدها التغطية الإعلامية للحروب الأمريكية؛ مثل حرب الخليج الثانية التى كان المنافس فيها شبكة سى. إن. إن الإخبارية وربما بالأحرى كانت معاونًا. وحروب أخرى مثل حرب بنما التى احتكر فيها المصورون العسكريون الصورة الواردة من أرض العمليات.

لم تخدم الصورة التى نقلها المصورون العسكريون الجانب الأمريكى على طول الخط؛ فالعناصر التى كانت تتولى فحص وتوزيع الصور على وكالات الأنباء المصورة كانت تخفق فى مهمتها فى بعض الأحيان؛ ربما بسبب غياب الخلفية الثقافية حول عادات وتقاليد العراقيين، فالصور الليلية لأعمال المداهمات والتفتيش التى كانت تقوم بها القوات الأمريكية لبيوت العراقيين بعد انتهاء العمليات الأساسية من الحرب، وذلك بحثًا عن مطلوبين كانت تنقل صورة سلبية للجندى الأمريكى. فالفزع والهلع الذى كان يظهر على وجوه النساء والأطفال وهم يرون آبائهم وإخوتهم وهم يقيدون ويقتادون من قبل الجنود الأمريكيون؛ ربما تكون قد زادت من أعمال المقاومة انتقامًا لمقتل أو أسر الأقرباء. وأدت لظاهرة السيارات المفخخة التى أسقطت آلاف الضحايا بين المدنيين فى السنوات التالية للحرب إثر اختفاء القوات الأمريكية ودورياتها الروتينية من شوارع بغداد وغيرها.

ولا ينكر أفراد وحدة التصوير العسكرى حقيقة أنهم يحاولون تجميل صورة القوات الأمريكية والتغاضى عن جوانب كثيرة مما يجرى على أرض المعركة. وتعترف الملازم أول چين لاروك المسئولة عن عناصر وحدة التصوير العسكرى بالعراق بهذا قائلة: "الحرب على العراق تختلف عن غيرها. فقد التقطنا الكثير من الصور الإنسانية التى تظهر جنودنا وهم يساعدون الشعب العراقى؛ وتظهر أيضًا احتفال سكان بغداد بقدومنا. الكثير من هذه الصور سيكون لها كبير الأثر على الرأى العام العالمى.

ورغم ذلك فإن المصورين العسكريين لم يلقوا ترحيبًا كبيرًا من جانب عناصر الجيش الأمريكى حسب رواية صحيفة "بالتيمور سن" التى تلفت إلى أنه عندما كان

يتوافر مقعد فى المركبة العسكرية كان الضباط يفضلون أن يشغله مصور صحفى وليس عسكرى؛ لأن ذلك يوفر لهم فى كثير من الأحيان فرصة لنقل صورهم وأحاديث عنهم، وبالتالى يحقق لهم شهرة خلافًا لما هو عليه المصور العسكرى الصارم، الذى لا يسير إلا بالأوامر ولا تربطه صلة بالرواية النهائية التى تصاحب الشريط المصور لدى عرضه خلال وسائل الإعلام المرئية.

صعوبات على الأرض:

تحتاج التغطية المباشرة لتقنيات متقدمة وتكلفة عالية قد لا تقدر عليها كثير من القنوات التليفزيونية العربية.. فهى تحتاج بداية لوحدة بث مباشر؛ عبارة عن شاحنة مزودة بأجهزة لبث الصورة عبر القمر الاصطناعى، وهذا الجهاز يمكنه بث الصورة على الفور من الشاحنة عبر القمر إلى المحطة الأم من أى مكان فى العالم. وتقوم المحطة الأم بإعادة البث الفورى على تردداتها وموجاتها الأثيرية كى يلتقطها مشاهدوها عبر أجهزة التلفاز المنزلية مباشرة أو عبر الأطباق اللاقطة إذا كانت المحطة تبث فضائيًا.

ويتابع المشاهد محطته الإخبارية من مقعده الوثير مرتاحًا وهو يرتشف الشاى أو القهوة؛ دون أن يدرى شيئًا عن المجهود الكبير والمال المنفق والأعصاب المحترقة كى يتسنى له ذلك، فهناك جيش من العاملين المجهولين يقف وراء ذلك.

بداية هناك المراسل أو الموفد الخاص بالقناة الإخبارية الذى يقف أمام الكاميرا معرضًا حياته للخطر وقد يفقدها مثلما حدث لطارق أيوب وكثيرين غطوا المعارك فى بغداد.. لكن المراسل هو الأكثر حظًا لأنه هو الوحيد الذى يعرفه ويقدره المشاهد، وخلف الكاميرا التى تنقل الصورة يوجد المصور الذى يخاطر بحياته أيضًا ويوجد الفنى وشاحنة البث المباشر S.N.G التى تنقل ما تصوره الكاميرا إلى المحطة عبر القمر الاصطناعى، والتى تحتاج إلى سائق وإلى مهندس متخصص فى عمليات البث. وقد يختصر هذا الطاقم أحيانًا ليزيد العبء على أفراده..

وفى الكثير من الأحيان لا يستطيع المراسل أن يعمل بمفرده فى جمع الأخبار وإجراء لقاءات مع ضيوف على الهواء أو مسجلة؛ ولذلك يحتاج إلى منتج أخبار كى يسهل له المهمة وطواقم العمل الأوروبية تستعين أيضًا بشخص من أبناء المنطقة التى يتم العمل فيها ويسمى فيكسر Fixer وهو يعتبر بمثابة دليل ومصحح للمعلومات، وربما يتم الاستعاضة به عن المترجم فى حال اختلاف اللغة.

وتنتهى مهمة فريق العمل الميدانى ببث الصور عبر القمر الاصطناعى لقاء مقابل مالى كبير..

وهنا تبدأ مهمة أخرى داخل المحطة الفضائية فهناك جيش من الفنيين الذى يستقبل البث ويحوله إلى أستوديو الهواء كى يعاد بثه إلى المشاهدين فى منازلهم وفى الأستوديو يكون هناك منتج الأخبار والمخرج، وتكون مهمتهما التنسيق مع مذيع الأستوديو الذى يحاور المراسل على الهواء بعد أن يتم التأكد عبر الهاتف الدولى من تجهيز المراسل والتأكد من فنى الصوت من وضوح صوت المراسل.. وينقل المراسل للمذيع الصورة وربما يكون هناك ضيف أو أكثر فى الأستوديو للتعليق على الصور الواردة من موقع القصف أو التحركات العسكرية على سبيل المثال التى لا يمكن للمراسل معرفة خلفياتها.

ويمكن الاستعانة بأكثر من مراسل فى ذات الوقت فكثير من القنوات الفضائية الغربية والعربية استعان بأكثر من مراسل، فيقوم رئيس التحرير أو منتج الأخبار بتكليف منتج المقابلات بالاتصال بمراسل فى شمال العراق على سبيل المثال وآخر فى جنوبه، وثالث من بغداد فى ذات التوقيت بعد التنسيق مع قسم الأقمار الاصطناعية بالمحطة ويكون بإمكان رئيس تحرير الفترة الإخبارية رؤية المراسلين المطلوبين على شاشات مختلفة فى الأستوديو ويطلب من المخرج بعد التنسيق مع المذيع إدخال من يراه مناسبًا منهم على الهواء، وقد يستعرضهم المخرج جميعًا على الشاشة فى ذات الوقت مع مذيع الأستوديو بعد تقسيم الشاشة إلى عدة نوافذ وهى تقنية تتيحها برامج البث فى المحطات المتقدمة. ويمكن لرئيس تحرير الفترة أن يطلب من المخرج بث صور للحدث على نافذة وأخرى يطل منها المراسل. وعادة ما يتم الاستعانة بالنوافذ المتعددة فى برامج الهواء الإخبارية لكنها تكون فى بعض الأحيان استعراضية ويؤدى الإسراف فى استخدامها لتحويلها إلى ديكور يجمل الشاشة. والجميع فى داخل الأستوديو من رئيس التحرير والمخرج ومهندسى وفنيى الصوت والصورة ومساعدى المخرج يعملون على أعصابهم، وربما تعلو الأصوات ويزداد التوتر فى الأستوديو (الفاليرى) نتيجة الأعطال الفنية أو الأخطاء البشرية.. لكن لا يشعر المشاهد بأى شىء ولا يرى سوى مذيعة مبتسمة أو ربما جادة أو مذيع يجتهد فى توصيل الصورة إلى المشاهد الذى يبدو أنه بات أكثر حظًا فى هذه الأيام.

فحتى الماضى القريب لم تكن هناك تقنية البث المباشر وكانت الصور تعرض على المشاهد متأخرة أيامًا وربما أعوامًا حتى يتبين حقيقة ما حدث فى هذه الحرب أو تلك مثل الحروب العربية الإسرائيلية. ومع وصول البث التليفزيونى إلى معظم الأقطار

العربية لم يكن البث المباشر متاحًا سوى لإذاعة كلمات زعماء الدول أو بث صلاة الجمعة أو مباريات كرة القدم وكانت شاحنة البث المباشر عبارة عن لورى شديد الضخامة؛ لكبر حجم المعدات ويسير ببطء شديد ولا يتمكن بهذا الحجم من السير على الطرقات الوعرة. لكنه أصبح الآن عبارة عن شاحنة أو لنقل سيارة من ذلك النوع الذى يحمل عشرة ركاب. قوية تستطيع السير على الطرق الوعرة. وأثبتت كفاءة فى الحرب الأمريكية على أفغانستان، فبعثة محطات مثل الجزيرة وأبو ظبى سارت فى تلك الطرق الجبلية الوعرة لتغطى تلك الحرب من التخوم الباكستانية قبل أن تنطلق إلى الداخل مع دخول القوات الأمريكية مع زميلتها الغربية باستثناء قناة الجزيرة التى كانت فى الداخل طوال الوقت، وانفردت بتغطية الحرب فى بداياتها لوجود مكتب لها ووحدة بث مباشر فى كابول.

لكن المؤسف أن الصورة تفقد كثيرًا من وظيفتها فى التأثير على المتلقى بسبب تكرارها وتكون الطامة الكبرى عندما يألفها المتلقى فتفتر المشاعر ويعتاد المرء ذلك ويتعايش معه.

وحذرت من ذلك الكاتبة سوزان سونتاج Susan Sontag فى كتاب رائد صدر قبل نحو ثلاثة عقود تحت عنوان "عن الصور الفوتوغرافية".. وتقول: "إن المشاهد يتحول فى هذه الحالة إلى وحش جرد من إنسانيته.." وهو ما حدث بالفعل تجاه المأساة الفلسطينية؛ فمشهد الجنود الإسرائيليين وهم يصوبون نيرانهم باتجاه الطفل محمد الدرة ووالده يحاول حمايته بجسده أحدث ردة فعل كبيرة فى أرجاء العالم لدى عرضه على شاشات التليفزيون.

وتم تكريم الدرة فى المنتديات وإطلاق اسمه على شوارع فى العديد من المدن العربية وألفت حوله القصائد والأغانى.. كان ذلك لدى توهج الانتفاضة الثانية التى سيرت المظاهرات فى العواصم العربية.. لكن ماذا حدث الآن؟ يصرخ الفلسطينيون كل يوم على شاشات الفضائيات وهم يشيعون قتلاهم ويقصف الإسرائيليون رموز المقاومة وتتناثر أشلاؤهم من سيارات محترقة وتجمع أمام عدسات المصورين وقد أسكت الاعتياد والهم العراقى الأفواه!!!

كلمات أخيرة

"تعتبر الحقيقة أول المصابين لدى نشوب الحرب"

(السيناتور الأمريكى/ هيرمان جونسون ١٩١٧)

"The First casualty when war comes is truth"..

(U.S. Senator Hirman Johnson 1917)

"فى زمن الحرب تعتبر الحقيقة من أغلى الأشياء، ولذا يتعين أن تكون محمية طوال الوقت بحارس من الأكاذيب"

"In war time, truth is so precious that she should always be attended by a bodyguard of lies"

Winston Churchill (British Prime Minister during World War II)

(وينستون تشرشل، رئيس وزراء بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية)

"فى زمن الحرب، تكون الضغوط هائلة على المراسلين لتأكيد (صدق مادتهم) وقد يخاطرون بفقد مهنهم. وفى حالات أخرى يتهم المراسل بأنه ضد أمريكا وذلك حينما يقدم على الانتقاد أو يصور الأمر (العمليات العسكرية) بطريقة غير مقبولة"

(أنوب شاه – الحرب والدعاية ووسائل الإعلام "بحث")

"نقول من آن لآخر إن تلك الأطقم الموجودة مع قوات التحالف ليست قادرة على التحدث بالتفصيل عن مكان وجودها أو مواقعها؛ لكن ذلك هو النوع الوحيد من الرقابة هناك.. وهذا هو نفس الأمر فى بغداد لا توجد رقابة فعلية، لكن الأشخاص، لكن الأشخاص مقيدو الحركة وترصد تقاريرهم"

(ريتشارد سامبروك مدير الأخبار فى بى. بى. سى "حول مسألة الصحفيين المدمجين")

"يتعين علينا ألا نسمح إطلاقًا للتأثيرات السياسية بتلوين أخبارنا أو بالتعتيم على حكمنا. إن الضغوط الإعلانية قد تغوى الآخرين باتباع نهج فوكس نيوز في التحمس للوطنية، ولكن بالنسبة إلى بي. بي. سي فإن هذه المعادلة ستشكل خطأ مريعًا. وإذا فقدنا بمرور الوقت ثقة المشاهدين فإذًا لن يكون هناك ذكر لنا"(*)

(غريغ ديك – مدير عام هيئة الإذاعة البريطانية)

"أظن أننا بدون الصحفيين ضائعون. إذ ليس بوسعنا أن نكون في بغداد أو في أفغانستان لكي ترى بأنفسنا ما يحدث فهم أعيننا وهم آذاننا وما يرفضون رؤيته لن نعرف نحن عنه شيئًا"

(حاييم بريشت/ أستاذ الإعلام بجامعة شرق لندن)

(*) Traq media dossier, Radio Nether lands.

المصادر

References

- اكذب على: الدعاية والتشويه فى حرب العراق – الكاتب دايفيد ميللر – الناشر فيرسو، لندن.

- Tell Me Lies: Propaganda & Media distoration in the Attack on Iraq" Edited by David Miller.

- "Regarding the Bain of Others' Susan Sontag.

- Guardian Neqs paper. U.K.

- Mars April and May issues 2003.

- Daily Mirror Newspaper April issues 2003.

- ملف صحيفة البيان الإماراتية العدد ٦٢٥، ٢٠٠٣/٥/٩ "الحرب مفاهيم جديدة للإعلام".

- Observer Newspaper May and June is sues 2003.

- Encyclopaedia Britannica:

- Year in Reuiew 2003: The Media Go toWar

- weapons of Mass Deception by: Danny Schechter of Media channel. org.

- قصف العقول – تأليف فيليب تايلور سلسلة عالم المعرفة الكويتية.

- عن الصور الفوتوغرافية – سوزان سونتاج.

- استشعار آلام الآخرين – سوزان سونتاج.

- Iraq media dossier, Radio Nether lands.

- وسائل الإعلام اللامحدودة – تأليف: تودجيتلين.

- متابعات من غرف الأخبار فى قناتى أبو ظبى والعربية.

- متابعات لقنوات سى. إن. إن – بى. بى. سى – فوكس نيوز – الجزيرة.

- www. Islam On Lineine. net.

- Media Propaganda and Iraq Anup Shah.

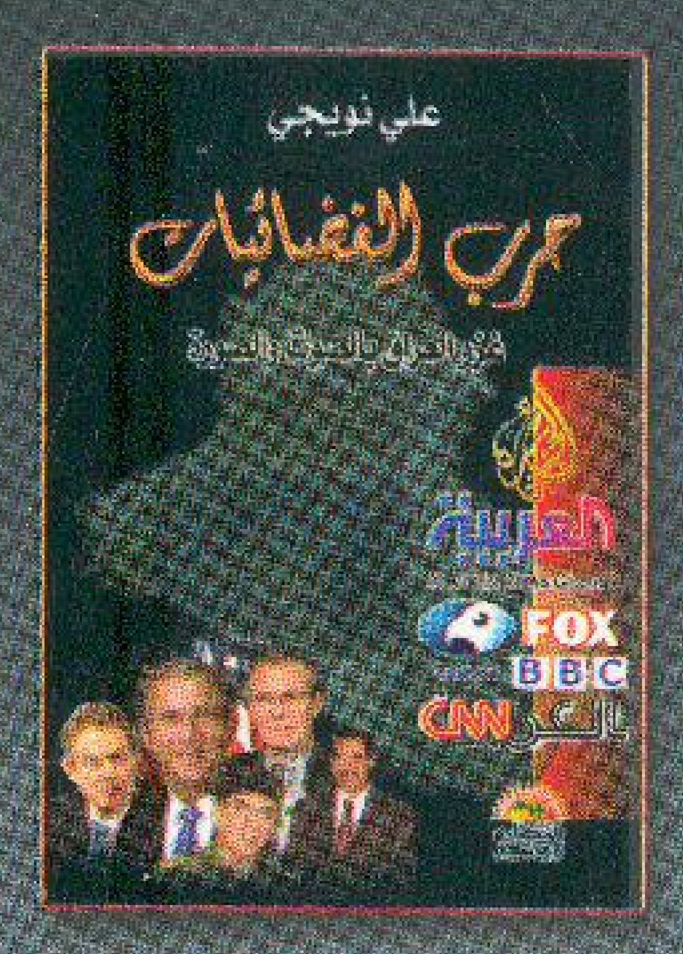
- Fair – Fairness & accuracy in Reporting.

المؤلف فى سطور

على ممدوح لطيف نويجى

- خريج كلية اللغات والترجمة عام ١٩٨٤.
- عمل بأخبار الإذاعة المصرية (١٩٨٧ – ١٩٩٢).
- عمل بأخبار التليفزيون والفضائية المصرية (١٩٩١ – ١٩٩٦).
- عمل بصحيفة الجمهورية (١٩٩١ – ١٩٩٦).
- عمل بصحيفة الشرق الأوسط مكتب القاهرة (١٩٩٥).
- عمل بتليفزيون الكويت ومراسل للتليفزيون المصرى (١٩٩٦ – ٢٠٠٠).
- أسس القسم الفنى بمجلة آفاق الكويتية (٢٠٠٠).
- عمل بقناة أبو ظبى (٢٠٠٠ – ٢٠٠٢).
- عمل بقناة العربية الإخبارية (٢٠٠٢ – ٢٠٠٨).
- كتب العديد من المقالات الصحفية.
- يكتب القصة القصيرة.
- قام بتغطية الحرب على أفغانستان من الحدود الباكستانية.
- قام بتغطية الحرب على العراق من الأستوديو.
- أعد وقرأ سلسلة تقارير خاصة حول الصومال والسودان للتليفزيون المصرى.
- أسهم فى صياغة الشكل الإخبارى لدى إطلاق الفضائية المصرية وبرنامج صباح الخير يا مصر.

ف: 13549 ت:7/2/2010



[illegible]

نقلت الفضائيات العربية جانبا من الصورة، ونقلت الفضائيات العربية الجانب الآخر الذي تجاهله معظم مصوري الغرب أو حجبوه رغم إرادتهم، ضحايا من المدنيين قتلى وجرحى بالآلاف [illegible] الجنود الغزاة.

لقد حولت الفضائيات شاشاتها الى خشبة مسرح تدور عليها فصول الدراما العراقية كملهاة ومأساة وكان الأبطال يقومون بأدوارهم على أكمل وجه.

وتواصلت محاولات قصف مكاتب الفضائيات العربية وقتل مراسليها ومصوريها وتصاعدت الضغوط على الجهات الحكومـ[illegible] خلف الستار، ورويداً رويداً تستجيب للضغوط وتغير [illegible]

وخلاصة الأمر، فإن وسائل الإعلام كانت المنتصـ[illegible] الحرب الأخيرة وادرك البنتاغون (وزارة الدفاع الأمر[illegible] الرأي العام سيتأثر بالتغطية الإعلامية للحرب؛ لذا عـ[illegible] على إخراج هذه الحرب على شاشات التلفاز بصورة [illegible] العام ينقلب على القوات الأمريكية حتى لو اضطر للتضـ[illegible]



